روايات عبير

حقائب الحزن

www.elromancia.com

مرمورية

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

No. 061

روايات عبير

حقائب الحزن

◆ تحمل حقائب حزن ملأى تعاسة بلا حدود .. عادت (جولى) إلى بريطانيا مع طفلتها (إيما) بعد ما انهدم صرح الحياة بوفاة زوجها الذى عاشت معه سنوات فى ظروف استوائية صعبة .. ومنذ تلك اللحظة توّجت حياتها ضبابات معتمة من الأسى .. وشعور مفعم باليأس و الإحباط.

واجهت(جولى) حياة صعبة قاسية بعد ذلك .. كانت أشبه بقارب بلا دفة أو شاطئ يرسو عليه .. وفقدت بذلك أى طعم للأمان أو الاستقرار .. لكن (روبرت) .. شقيق زوجها .. ظهر كنجم فى الظلام .. يرسل شعاعات تحمل بريق أمل .. ووهج دفء لطيف..!!

I.S.B.N. 977-376-194-0
9 789773 761943

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 01015173873

No. 061

روايات عبير

حقائب الحزن

آن ميثر

www.elromancia.com

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

اسم السلسلة : روايات عبير
اسم الكتاب : حقائب الحزن
اسم المؤلف: آن ميثر
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٥٦٨٦/ ٢٠٠٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N 977-376-194- 0
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة
جمع اليكتروني: فور إتش ٠١٠/٦٦٧٤٣٢٥

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٦

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

روايات عبير 061

حقائب الحزن

١- إلى متى

بدا مطار لندن رتيب الحركة، كئيبا، بعد أضواء كوالا لمبور وتلونها والحياة المتدفقة فيها. أبنيته يغشاها رذاذ مطر خفيف. وبدا للتأمل فيه انه يفتقد ذلك النمط الاستوائى الذى يطبع الحياة فى كوالالمبور. حتى تلك النظرات المشتاقة المعذبة لمسافر عائد، بين زحمة الناس المندفعة للقاء أقارب وأصدقاء هم فى انتظار. وبدا المكان باردا، غريبا، بمقدار ما بدت ماليزيا لستة أعوام خلت. هكذا تراءى لجولى وهى فى اكتئاب، تضم كتفيها الهزيلتين تحت معطف ناعم ذى لون مثل لون رمال الشاطئ، كانت اشترته على نصيحة صديقتها باربارة لترتديه خلال رحلة العودة الى الوطن.

وها هى الآن فى انجلترا. وكان عليها أن تتقبل، بطريقة أو بأخرى، حقيقة كون منزلها المتواضع فى مدينة راتون لم يعد مأواها الذى كان، وان تتكيف مع المستجدات والمتغيرات الطارئة كى لا يكون لها وقع أليم فى نفس إيما.

كانت مضيفة الطيران جذابة تدفع المسافرين ليتقدموا نحو مراكز الجمارك وبوابات الخروج وهى تلوح لهم مبتسمة، مودعة، وتخص طفلة صغيرة، تمسكت بيد جولى، بالتفاتة لطيفة.

- وداعا، إيما! «قالت لها وهى تنحنى امامها لتمسك يدها»... وشكرا لك، لمساعدك ايانا فى أثناء الرحلة. ليست ادرى ماذا كان فى مقدورنا أن نفعل لو لم تكونى معنا فى هذه الرحلة؟

رفعت ايما عينين متسائلتين ناحية جولى، ونظراتها فى دوامة. ثم تحولت ثانية نحو المضيفة قائلة:

- أحقا ما تقولين؟ اظننى كنت، بحسب ما قالت لى والدتى، مصدر ازعاج اكثر منى مصدر مساعدة؟

اتسعت ابتسامة المضيفة.

- بل على العكس. ومن كان سيوزع كل تلك المجلات على المسافرين فى الطائرة لو لم تكونى موجودة؟

تدخلت جولى، وملامح ابتسابة عند طرفى شفتيها.

- كانت بادرة لطيفة منك أن تفسحى لها مجال مساعدتكم، فذلك ما خفف من وطأة مشقة السفر عليها.

اشارت المضيفة قائلة:

- لا بأس، سيدة بمبرتون، فقد سرنا وجودها.

- شكرا لك ثانية «قالت جولى وهى تعض على شفتيها، والتفتت الى ايما» ودعى الآنسة حبيبتى، فنحن لن نلتقيها ثانية.

- وداعا» آنسة فوريست.

قالت ايما بنبرة مهذبة. ثم انطلقتا وابتسامة جولى، محيية، تنهى اللقاء.

كانت حقيبتاهما قد اخرجتا من دائرة الجمارك، وصودق على تأشيرة الدخول لهما. وبدا الجميع مهذبين ودودين حيال تلك السيدة الفتية التى ترافقها طفلتها ذات الخمس سنوات. فجأة احست جولى بيد ايما تشد على يدها وكلمات االطفلة تنطلق بحماسة.

- أين جدتى، هل يمكنك رؤيتها، امى؟

- لم المحها بعد، حبيبتى.

ارتعدت لدى سماعها نبرة خشنة، وكادت تقفز من مكانها. ثم استدارت مترددة لتواجه صاحب الصوت مع ادراكها سلفا هوية صاحبه. احست ان اعصابها تكاد تنهار، اذ هى لم تكن استعدت بعد لتواجه ربوبرت بمبرتون خصوصا انها متعبة وقد انهكها السفر، بعد سنوات طويلة من الفراق.

- مرحبا، روبرت، كيف حالك؟

- انا فى خير، شكرا، كيف حالك انت؟

- فى خير، فى خير.

تأملها روبرت فترة غير قصيرة ظنت خلالها انه على وشك أن يأتى على ذكر مايكل، لكنه لم يفعل. ثم جلس القرفصاء قبالة ايما، وبادرها:

- مرحبا، ايما، هل تتذكرينني؟

حدقت فيه ايما مليا ثم اجابت:

- انك تشبه والدى الى حد ما، وافترض ان تكون عمى روبرت.

- انا هو «اجاب روبرت مبتسما، وذابت البرودة التى واجه بها

جولى، فى كنف سحر ايما، ومن أخبرك انى اشبه والدك؟

- امى أخبرتنى هذا»ورفعت الطفلة نظرها نحو والدتها وسألتها» اليس كذلك؟

اومأت جولى برأسها موافقة، بينما لم تفارق نظرات روبرت وجه الطفلة.

ترددت ايما قليلا الا انها استدركت، وانفها يختصر تكشيرة.

- لكن، لماذا تأخرت فى الحضور؟ وأين هى جدتى؟ لقد قالت لى امى انها ستأتى لاستقبالنا. اين هى؟

انتصب روبرت ثانية وهو ينظر الى الطفلة.

- لم تستطع جدتك المجئ، اذ هى متوعكة.

فجأة بادرته جولى بنظرة سريعة، وقد وبختها نفسها لسوء تقديرها الأمور.

أحست جولى بضيق بداخلها كونه سيتولى مسؤولة تدبير امر وصولها والطفلة متفردا على عادته المتعجرفة من دون أن يستشيرها فى شئ أو يقدم اليها ايضاحا، أو حتى أن يخبرها اين هى والدته، وما سبب توعكها.

- هيا بنا، نتوجه الى حيث اوقفت السيارة، وفى طريقنا الى المنزل يمكننا ان نكمل حديثنا.

كانت نبرة صوتها متفاوتة فلم يستطيع روبرت منع نفسه من سماع ما قالته.

اجابت جولى وهى تجهد بابتسامة:

- اعتقد ذلك، هيا بنا، وفور وصولنا نستحم ونبدل ملابسنا. هذا، الى انك تبدين تعبة سيدتى الصغيرة.

قاد روبرت السيارة. وللحظة شعرت جولى بدفق من الذكريات، كانت اعتقدت انها نسيتها.

بادرت ايما:

- الى اين تأخذنا، عمى روبرت؟

سؤال الطفلة هذا، كان ما يخالج ذهن جولى منذ اللحظة التى تركوا فيها المطار. الا ان الكلام استعصى عليها آنذاك.

- نحن متوجهون صوب المدينة، عزيزتى»اجاب روبرت» فأنا اسكن هناك، فى شقة، هل ترغبين فى رؤيتها؟

التفتت جولى بنظرة سريعة تسأله:

- اين هى والدتك؟

للحظة، بدا وجه روبرت قاسى التعابير.

- لا تقلقى، جولى، والدتى فى انتظارنا.

- لست قلقة!»وملكت صوتها حدة لم تفلح فى اخفائها. اذ هى كرهت الجو المتوتر الذى كان لا يكف عن اشاعته مذ التقاها. حتى ان ايما نفسها شعرت بهذا الجو. وهتفت بانفعال» اتقصد ان جدتى ستكون فى انتظارنا فى الشقة؟

- نعم، انها مشتاقة الى رؤيتك.

وبادرته ثانية:

- اذن، والدتك تسكن معك؟

هز روبرت رأسه نفيا.

- كلا. فهى تركت منزلها فى ريتشموند كما تعلمين، وهى الآن تقطن شقة خاصة بها.

لم يكن فى تصرف روبرت ما يشجع جولى على تقبل الوقائع فى سهولة. هذا، الى انه لم يأت بكلمة على ذكر مايكل. وتساءلت جولى عن السبب. هل لأن حضور ايما يمنعه من ذلك؟ او أن هناك سببا آخر؟ غير انه، فى ظنها، مدرك ان فى استطاعتها وابنتها الآن، بعد مضى ثلاثة اشهر على الحادثة، أن تتقبلا الأمر بواقعية، على الرغم ما فيه من ألم وأسى. ولم يكن معقولا ان تتطرق جولى الى هذا الموضوع من تلقائها، ففضلت الصمت.

قطعت ايما الصمت المخيم:

- هل صحيح أن الشقة مرتفعة؟

- انها شقة فى ناطحة سحاب. انها، فى الواقع، فى الطابق الأخير من احدى ناطحات السحاب.

- يا الهى «انفجرت الكلمة من فم ايما لوقع كلامه»

ابتسم روبرت وهو يرمق جولى، غير ان هذه اشاحت بنظرها، اذ لم تستطع ان تستوعب فكرة ان روبرت سيحظى بحب الطفلة ما لم تكن هى متيقظة لهذا الأمر. قد يكون فى سلوكه انانية، غير انه شئ لا تستطيع التسلم به، اقلة ليس حاضرا، خصوصا بعد وفاة مايكل.

كان روبرت قد وصل الى حى هادئ. ثم توجه الى باحة بناء ضخم عبارة عن مجمع شقق. اوقف السيارة وعلى رغم المطر المتساقط استطاعت جولى أن تتبين نوع المبنى الفخم. ومن خلال زجاج البالب يستطيع حاجب ان يراقب الوافدين الى الداخل. وما ان لمح هذا سيارة روبرت حتى بادر يحييه بتهذيب.

- طاب يومك سيدى، هل استطيع ان اساعدك؟

هز روبرت رأسه نفيا فتساقطت قطرات من ماء المطر كانت علقت بشعره الكث:

- شكرا سأتدبر الأمر بنفسى. انه يوم بأس، اليس كذلك؟

- حقا انه كذلك سيدى.

اجاب الحاجب نوريس وهو ينظر بحشرية الى جولى وايما اللتين ترجلتا وقبعتا بجانب السيارة، وفى عيونهما ضياع وغربة.

قطع روبرت على نوريس استرسال نظراته المتسائلة موضحا:

- انها زوجة اخى وابنتها «ثم وضع الحقائب ارضا ليقفل باب الصندوق، وأردف» ستبقيان فى ضيافتى لبضعة ايام. لقد وصلتا لتوهما من مالايا.

اتسعت حدقتا جولى اذ ادركت؟، على غير ما هو متوقع، انهما ستمكثان فى شقة روبرت. غير انها لم تستطع قول اى شئ فى حضرة نوريس واكتفت بالتحديق فى عينى روبرت. اما هذا الأخير فبدا غير مبال لرد فعلها وحمل الحقائب وأشار اليهما ليتقدما نحو المدخل.

بدا المصعد ضيقا لوجود ثلاثة اشخاص فيه، اضافة الى حقائب السفر.

- روبرت، لماذا علينا أن ننزل عندك؟

- الآن؟ الآن جولى؟

ازدادت فرحة حدقتى ايما.

- آه، نعم، انظرى امى، نكاد نصل. يا الهى. احس بفـــراغ فى معدتى.

حمل روبرت الحقائب، واتجهوا نحو الباب الآخر. وما ان كادوا يصلون اليه حتى فتح واطل منه رجل يرتدى بزة سوداء، فى متوسط عمره، ذو شعر زنجبيلى يشوبه بعض من شيب، وشاربين بلونه شعره.

بادر الرجل يستقبل روبرت بحرارة ووجهه المستدير يشع:

- اهلا، سيدى. سمعت صوت المصعد يتوقف فقلت للسيدة بمبرتون لا بد أن تكون انت القادم. وقد صدق حدسى.

ابتسم روبرت ابتسامة خفيفة وقال:

- انت انسان كفؤ. خذ هذه الحقائب الى الداخل.

- نعم، سيدى.

تقدم الرجل يتسلم الحقائب فيما روبرت يرمق جولى والتردد فى نظراته ثم أوضح قائلا:

- جولى، هذا هالبيرد انه يلازمنى أنى ذهبت.

افترت جولى عن ابتسامة جندت لها قسمات وجهها وحيت الرجل:

- طاب يومك، هالبيرد.

- طاب يومك سيدتى. وأنت ايضا، آنستى.

لاحظت جولى بمرارة ان شوق الجدة الى رؤية حفيدتها لم يدفعها الى أن تأتى الى الباب لاستقبالهما. ووبخت نفسها اذ لم يمض على وصولها اكثر من ساعة وها هى تفسح للواقع المستجد ان يؤثر عليها سلبا.

لم يتوقف روبرت فى طريقه الى الصالون، ليفسح لهما المجال لخلع معطفيهما. وفتح الباب تاركا ايما تتقدمه. وتناهى الى جولى صوت حماتها الفرح لرؤية حفيدتها. ثم دخلت هى الأخرى الى الصالون الفسيح. كان شاسعا حقا، يمتد من اول الشقة الى اخرها، جدرانه صفائح من زجاج. وقبل أن تتمكن جولى من رؤية الداخل جيدا، وقع نظرها على المرأة المستلقية على كنبة قرب النافذة، تقبل ايما، وتبدى اعجابها بنموها السريع، ذلك انها عرفتها طفلة تدب يوم رأتها أول مرة.

بادرت لوسى قائلة:

- اعتذر عن عدم تمكنى من الذهاب الى المطار لاستقبالكما، اذ اصر روبرت على ان ابقى فى فراشى، بعد الزكام الشديد الذى اصابنى.

اجابت جولى، وكأن الأمر لم يضايقها اطلاقا:

- لا بأس، كيف حال صحتك الآن؟

- افضل بكثير.»ونظرت لوسى الى روبرت الذى كان واقفا يشهد حوارهما وتقطيبة ترتسم على وجهه وسألته» هلا طلبت، عزيزى، من هالبيرد ان يأتينا ببعض الشاى؟ انى متأكدة ان جولى ترغب فى فنجان دافئ. ما رأيك، عزيزتى؟

- شكرا، فنجان شاى. نعم، هذا ما ارغب فيه.

- اوه، هناك الكثير لنقوله»هتفت لوسى وهى لا تزال تحضن الطفلة» اما انت، ايما، فعلينا ان نتعارف جيدا، اليس كذلك؟

- هل تقطنين هنا جدتى؟

اجابت لوسى حفيدتها:

- كلا، عزيزتى. شقتى ليست بهذه العظمة. انها تقع فى شارع آخر بعيد. وستزورينها فى مناسبة ثانية.

اغلقت جولى الباب خلفها ومشت الى قرب النافذة، ونظرت عبر الستارة المنسدلة نحو المدينة التى تتلألأ بالنور. وعلى الرغم ان االشقة تقع فى وسط المدينة فقد كان الهدوء يخيم على المكان الذى بدا صامتا، بعيدا، معزولا كمقصورة قطبان، حيث لا يستطيع المرء ان يتجاهل احساسا مثيرا كونه يسكن مكانا فخما كهذا. الا ان جولى احست بكآبة تغمرها.

فوجئت بباب الصالون يغلق. فاستدارت لتجد روبرت بمبرتون. تأملها هنيهة.

فبادرته جولى:

- هل تنوى اطلاعى على سبب اقامتنا هنا؟

تردد روبرت وهو يفرك راحتى كفيه. ثم سألها بصوت جاف:

- وهل من اهمية لهذا؟ الا انى اؤكد لك ان نوايای لا تشوبها الأنانية.

- ماذا يفترض فى ان افهم من هذا؟

- ما اقوله لك حرفيا. فوالدتى غير قادرة على استضافتكما فى مسكنها. وكونك ارملة أخى مايكل، فمن الطبيعى ان تكونى هنا على الرحب والسعة.

وأردف يسألها بصوت بارد:

- هل كنت توافقين على العودة لو علمت سلفا انكما ستقيمان عندى؟

زمت جولى شفتيها:

- كلا، طبعا.

- اذن، هذا كل ما فى الأمر.

مشى الى حيث ابريق الشاى ليسكب لنفسه فنجانا آخر. تنهدت جولى قبل أن تستأنف استجوابه:

- اذن، لقد عدنا بناء على مزاعم خاطئة؟

- كفى عن كلامك المأساوى هذا جولى. لقد كان من الواجب أن نستدعيك الى هنا. وتلك كانت الوسيلة الوحيدة.

اعترت جولى موجة من السخط، وقالت:

- لكن، لماذا كانت عودتى ضرورية؟ فوالدتك لم ترغب قط فى وجودى... عندما كان مايكل لا يزال حيا، والآن وقد توفى مايك، لست ارى سببا لأن ترانى هنا ثانية.

- ماذا تريدينى ان اقول، جولى؟ اتريدين أن تسمعى تفاهات وأحاديث اسى ملفقة؟ لا اظنك تريدين هذا. فكلانا يعرف ان كلامى

فى الموضوع لن يعبر عن حقيقة مشاعرى. غير انى احببت اخى، ايا يكن رأيك، وبالتالى اريد معرفة ظروف وفاته. هلا اخبرينى؟

ادارت له ظهرها، ثم قالت بصوت لا حياة فيه:

- لقد... قرأت تقرير الطبيب. لكنك لم تأت لتعوده.

- كلا، الواقع انى نادم جدا لأنى لم افعل.

قال هذا وبدا صوته متهدجا.

- حسنا، لست ادرى ما الذى تبغى معرفته. فانا لم اكن على علم بالنوبة الأولى التى اصابته، اذا كان هذا يهمك. وقد طلب مايكل من الطبيب الا يفشى حقيقة وضعه الصحى الى احد. يومها، ظننت انه ازداد وزنا. فقد كان شرها حيال بعض انواع المأكولات المشبعة بالتوابل. فى أى حال، لم يكن مايكل يهتم لصحته. الا انه حين اصابته نوبة قلبية ثانية، ولم يمض وقت طويل على اصابته بالأولى، لم تكن لديه المناعة الكافية ليخرج حيا.

قطع روبرت حبل الصمت الذى خيم تلك اللحظة وقال:

- انت تدركين انى، لو علمت بحاله، لكنت ذهبت لرؤيته... لو انى تصورت فقط...

- لم يسمح لى بأن ارسل فى طلب احد. لا ادرى سببا لذلك، الا انى لم استطيع ان اخالف رغباته.

- لو لم اكن خارج انجلترا حين وصلنا نبأ وفاته، لكنت حضرت مأتمه، ثم ان مراسم الدفن تمت بسرعة اكبر على العكس ما كان سيحصل لو هى اجريت هنا.

- نعم، هل هذا كل ما أردت معرفته؟

استدار فى مكانه وبدا متجهما لعدم الجدية فى سؤالها:

- اتراك غير مبالية للأمر؟

- غير مبالية! «هتفت صارخة وقد وضعت يدا حول عنقها. وأكملت مدافعة» يا الهى! أو تظن أيضا انى غير مبالية؟

- الست كذلك؟ اذ انى لا أرى دموعا فى عينيك الخضراوين!

خطت جولى نحوه تريد أن تصفعه لتبعثر شرارات القسوة من وجهه، مرة واحدة والى الأبد. الا انها ما كادت تهم بذلك حتى فتح الباب وظهرت عند عتبته والدته لوسى بمبرتون.

بادرت لوسى قائلة، اذا فوجئت برؤيتيهما وحيدين:

- مرحبا. اراك لا تزال هنا، روبرت؟ ظننت انك مرتبط بموعد فى تمام السابعة والنصف. لقد فاتك الموعد، كما تعلم.

اجاب روبرت والدته بثقته التى لا تفارقه:

- لست فى عجلة من امرى، امى.

عادت نبرة التوبيخ واضحة فى صوتها:

- لا اظن ان باميلا توافقك رأيك هذا، عزيزى.«ورمقت جولى باستخفاف قبل أن تستطرد فى القول» لا بد أن تتعرفى الى باميلا، جولى باميلا هيلينغدون. لا بد انك سمعت بهذه العائلة. باميلا وروبرت سيتزوجان فى الربيع.

حاولت جولى الا تظهر اهتماما للأمر، وسألت تترجم احساسها:

- احقا ما تقولين؟ الا انى اشك فى فرصة لقائى اياها. اذ كل منا تتحرك فى فلك مختلف.

- جولى، ارجوك الا تعقدى الأمور! فنحن، فقط، نبغى عمل ما هو فى مصلحتك ومصلحة ايما.

ازاح روبرت كم قميصه ليتبين الوقت فى الساعة الذهبية فى معصمه مما زاد فى توتر اعصاب جولى وتشنجها. فهتفت:

- لا اريد ان تتأخر عن موعدك بسببى. قل لى، فقط، ما عليك ان تخبرنى به. بعدها ارجو ان ترافقك السلامة!

قطع روبرت لحظة الصمت الذى خيم، قائلا:

- اخى مايكل ترك وصية.

- اعلم ذلك. لقد ترك حصته فى الشركة للعائلة. ما همنى هذا، فلست فى حاجة الى شئ.

- الا يمكننا أن نتحاور برباطة جأش؟

- حسنا، سأحاول الا اطيل. مايكل ترك حصته فى الشركة للعائلة لتحفظ حتى بلوغ ايما الواحدة والعشرين. والى ان يحين ذلك سأكون.. حاضنها الشرعى!

- مستحيل!

بدا التيرم فى صوت لوسى، وقالت:

- لا تكونى عاطفية كنساء الشرق، لقد ادرك مايكل انه فى حال حدوث اى شئ له، فليس من شخص آخر كأخيه اهل لتربية الطفلة.

قاطعتها جوليس وقد امسكت بطرف المقعد:

- لن اشارك فى تحقيق هذه الرغبة. «صمتت قليلا قبل أن تقول» اعتقد ان هذا هو السبب الذى دفعكما الى الطلب منى، فى رسائلكما، لاحضر. اليس كذلك؟ثم توجهت بكلامها الى لوسى» كما انك انت كنت تعرفين انى سأرفض العودة فى ما لو عرفت حقيقة الأمر.

تنهد روبرت عميقا.

- قد يكون ما تقولين صحيحا. الا ان والدتى رغبت فى ان تهون الأمر عليك. هذا، الى ان الوصية تبقى قانونية لك ايا تكن الظروف وبغض النظر عن قبولك أو رفضك.

سألته بصوت مكسور:

- وما الذى ترتأيه؟

- ان تبقى هنا الى حين يتم ترميم المنول الذى اشتريته، حيث يمكنك أن تعيشى مع ايما، اضافة الى مربية ستقوم بتعليم ايما.

سألته جولى بصوت تملأه الدهشة:

- اتريد أن تقول انك اشتريت منزلا وعهدت الى مربية بتعلم ايما، ظنا منك انى سأوافق مسبقا على هذا؟

- بل بناء على وصية مايكل.

- الا انك ستتزوج قريبا، فكيف... كيف سيكون فى استطاعتك تولى حضانة ايما؟

- الى ان يحين ذلك، انا مصمم على تمضية نهاية كل اسبوع معها

ثم، بعد أن أتزوج، لابد أن تكون هناك بعض الترتيبات الأخرى هونى عليك جولى فايما لن تكون الا طفلتك، كما انى رجل واقعى.

- لا اظنك جادا فى ما تقول!

- لكن الا ترين انه لم يكن ليحدث كل هذا، لو انك كنت مستعدة لقبول...

- مساعدتك. اليس كذلك، روبرت؟» وشمخت برأسها، كلا، شكرا، لا يمكننى ان اقبل مساعدتك.

- اذن، ماذا فى نيتك ان تفعلى؟» ودلف الى الغرفة وأغلق بابها نصف اغلاق. ثم بدا كأنه فكر ثانية فى ما فعل فأعاد فتح الباب ثانية.

ثبتت جولى فى محاولته هذه. اذ لن تسمح له بأن يسيطر عليها. يجب الا تسمح بهذا. وأخيرا، قالت له:

- انا ... لم اقرر بعد. ربما اضطر الى التسليم بمخططاتك فى ما خص موضوع ايما. الا انى لست فى وارد الاعتماد عليك مستقبلا.

- وماذا ستفعلين اذن؟

- سأبحث عن عمل. فوجودى فى المنزل معظم النهار أو جزءا منه على الأقل، لن يكون بذى فائدة، اذا ما جئت بخادمة لايما. ماذا تنتظر منى ان افعل غير هذا، والحال هذه، روبرت؟ اتنتظر منى ان ابقى معظم الوقت أقلم أظافرى؟

- انتظر منك ان تتصرفى كما يجدر بأرملة مايكل أن تتصرف...

٢ ـ بحثا عن الاستقرار

استيقظت جولى صباح اليوم التالى لتجد ايما تتقافز على حافة سريرها. فتحت عينيها بتردد، وفى داخلها احساس بشر سيحدث وعاودتها احداث الليلة الماضية.

جاهدت جولى لتجلس فى فراشها، وبادرت تسأل ابنتها وهى تحاول ان تطال ساعة يدها التى على طاولة صغيرة قرب سريرها:

- كم الساعة الآن، ولما ادركت الوقت هتفت، لقد تخطت الساعة العاشرة. لم لم توقظينى قبل الآن؟

- جدتى قالت انك كنت مرهقة، كذلك قال عمى انك ستكونين فى حال افضل اذا ما شبعت نوما.

- أتقصدين انهما صحوا؟

- نعم. الا ان جدتى لا تزال فى ثياب النوم. لقد تناولت افطارى معها، فى غرفتها. ثم اتى عمى روبرت وسألنى عما أرغب فى ارتدائه عادة.

واضافت:

- نحن ذاهبان لمشاهدة المنزل الجديد.

سألت ايما تستوضحها بصوت ارادت ان يبدو عادى النبرة:

- متى ستخرجان؟

- بعد قليل، عندما تصبحين جاهزة على ما اعتقد.

- انا؟ «هتفت جولى وهى تستدير على نفسها» وما الغرض فى مرافقتكما؟

- حسنا، انت ايضا ذاهبة معنا، اليس كذلك؟

بدت الطفلة فى حيرة.

اطرقت جولى قليلا:

- هل قال عمك روبرت انى ذاهبة معكما؟

حاولت الطفلة ان تستجمع فكرها للحظة ثم قالت:

- سألنى ان آتى لأوقظك واسألك ان كنت راغبة فى فنجان قهوة.

- حسنا. نعم، ارغب فى رفنجان. اذهبى الآن ولا تعودى ثانية، سأكون فى اثرك حالما ارتدى ثيابى.

ارخت ايما شفتيها مستسلمة لمشيئة والدتها.

لم تترك غرفتها الا بعدما رضيت عن مظهرها. وسارت بعزم فى الممر المفضى الى غرفة الجلوس.

كانت ايما وجدتها جالستين على كنبة خفيضة قرب النافذة، تتأملان صورة كتاب كانت لوسى تقرأ فيه قصة.

فالتقتتا نحوها لدى سماعهما صوتها.

قالت ايما بصوت برئ:

- جدتى تقرأ لى حكاية.

وزادت لوسى على كلام حفيدتها:

- صباح الخير جولى. هل نمت بنوم هانئ؟

اجابت جولى ونظراتها على هالبيرد الذى كان لا يزال ينتظرها:

- شكرا، نعم. اعذرانى، انا ذاهبة لشرب فنجان قهوة.

دخل روبرت غرفة الجلوس. كان يرتدى بنطالا من المخمل اخضر غامقا، وقميصا باللون ذاته، وارخى على كتفه معطفا قصيرا مناسبا. بدا ضخما، ذا اطلالة تتميز بالقوة والتأثير. حاولت جولى جاهدة الا تنظر اليه.

- حسنا؟ «بادرها بصوت غليظ قاطعا عليهما حديثهما» هل انت جاهزة؟

رفعت جولى، نظرها تستوضحه:

- جاهزة؟ جاهزة لأى غرض؟

- ألم تخبرك ايما بالترتيبات المتفق عليها؟

اطرقت جولى قليلا قبل ان تنهض من كرسيها وتسوى ملابسها، ثم اجابت:

- لقد ذكرت شيئا بهذا الخصوص... ذهابها معك لمشاهدة المنزل الجديد.

- بالضبط. طبيعى انك ترغبين انت ايضا فى مشاهدة منزلك الجديد.

www.elromancia.com

اجابت والسخرية تظهر على وجهها:

- اوه، شكرا لك التفاتتك الطيبة هذه.

- جولى، لا يمكننا ان نستمر على هذا الاسلوب او ليس من المنطق ان نتصرف باسلوب اكثر حضارة، وايما بيننا؟ بدأت اشعر بالقرف من استمرار هذا الجدل المتواصل.

- وانا كذلك اشعر بما تشعر به.

- اذن؟

- الامر سهل بالنسبة اليك، اليس كذلك؟ فانت تسير الاشياء بحسب ما تقتضيه مصلحتك. ام ترانى مخطئة هنا؟

- اوه، جولى! «وبدا فى نبرات صوته الاجش بعض من الم» هذا الجدل لن يوصلنا الى نتيجة، ما مضى قد مضى، وعلينا كلانا ان نتقبله بحسناته وسيئاته. لقد قرر مايكل ان تكونى وايما فى عهدتى، فلنحاول الا ننسى هذا على الاقل.

- وكيف لى ان انسى؟

- نحن فى انتظارك، الا تودين االذهاب لرؤية البيت الجديد؟

ترددت جولى. كانت ترغب الذهاب. لكن قضاء فترة ما قبل الظهر فى صحبة روبرت قد تكون بمثابة مصيبة لحالها النفسية والذهنية.

اجابت وهى تحاول ان تضفى على صوتها اهتماما بموضوع الذهاب، وجهدت فى ان تظهر مظهر الممسك بزمام نفسه:

- طبعا، اريد الذهاب. لو انك ايقظتنى باكرا لما اضطررت الى

انتظارى كل هذه المدة.

بدا روبرت مرتاحا لكلامها:

- حسنا. غير انه عليك ارتداء معطفك. فعلى رغم ان الشمس مشرقة، الا ان البرد فى الخارج قارس، صدقينى.

- اصدقك.

أشارت برأسها موافقة. وبخطوات خفيفة تركت الغرفة.

ما ان رآها روبرت تدخل الغرفة ثانية، حتى اطفأ عقب سيجارته وتوجه نحو الباب. لحقت به ايما بخطوات تحركها الاثارة والانفعال. اما لوسى فبدت غير راضية اطلاقا.

وسألت ابنها:

- متى ستعودون؟ انها الحادية عشرة تقريبا، الان! ونظرت جولى بنظرة قاسية، ثم استطردت تقول، ظننت انك راغبة فى الذهاب الى السوق.

واجابتها جولى وعيناها على روبرت تتبين رد فعله:

- يمكننا الذهاب فى يوم آخر.

بعد ان افسحت المجال لايما لتجلس فى المقعد الخلفى، اخذت جولى مكانها فى المقعد الامامى وجلس روبرت فى مقعده خلف المقود، اغلق باب السيارة وادار محركها.

لم تكن جولى تعير انتباها الى ما حولها وهم منطلقون فى السيارة، حتى تناهى اليها صوت ايما تسألها عن اسماء الامكنة التى كانوا يمرون بها. ادركت عندئذ ان روبرت يلف بالسيارة فى وسط المدينة

ليتمكنا من مشاهدة معالمها. وبينا هى تنظر عبر زجاج النافذة، تتعرف على محلات شارع اوكسفورد اذا بايما تسألها:

- اليس الامر مثيرا، امى؟ عمى روبرت سيعبر بنا السوق الآن، سالكاً اتجاه قصر باكينغهام!

ظهرت ابتسامة حنونة على وجه جولى وعلقت قائلة:

- لا بأس، ما دمت لا تتوقعين مقابلة الملكة، اذ هى ليست على معرفة بقدومك.

غرقت ملامح وجه ايما فى ضحكة رائعة، فيما احنت جولى رأسها. بعد ان عبرت السيارة امام القصر، وعبرت ايما عن فرحتها الكبيرة لرؤية الحرس خارجا، رغب روبرت فى افساح المجال للطفلة لتشاهد مبنى البرلمان فانعطفت السيارة فى اتجاه بيردكايج وولك ثم قطعت جسر نهر وستمنستر. بعد ان تخطت السيارة المبنى المذكور، انطلقت مسرعة، فنظرت جولى الى روبرت بتساؤل:

- هل لى ان اسألك الى اين نحن، الآن، ذاهبون؟

- نحن الآن على طريق واتفورد ووجهتنا ثورب هليم.

قالت ايما وقد ضمت حاجبيها:

- لم اسمع بهذا الاسم أبدا.

- كيف لك ان تسمعى بها؟ ليست، فى الواقع، مكانا شهيرا.

- وفيها... منزلنا الذى نقصده؟

- نعم.

تدخلت جولى مستوضحة:

- سنسكن هنا، اذن؟ ما الذى دفعك الى اختيار هذا المكان؟

تردد ربروبرت لحظة، واصابعه تشد بثبات على المقود. واجاب:

- فى الواقع نأمل، باميلا وانا، ان نعيش، بعد زواجنا فى فارنبور واذ ان والديها يسكنان فى اوبنغتون وبالتالى، لا تريد ان نسكن بعيدا عنهما. وثورب هيلم على بعد عشرة اميال من فارنبورو.

لم يرق جولى ما قاله، ذلك انه متى تزوج وسكن حين حيث اشار، سيكون على بعد عشرة اميال منها فقط. وهذا امر لم تستسغه. واحست بشوق قوى الى الطمأنينة وراحة النفس اللتين عرفتهما فى منزلها فى راتون.

ادركت، فجأة، ان عليها ان تقول شيئا ما. طبقت قفازيها ووضعتهما فى حضنها، وسألته:

- كنت اعتقد ان الشقة تلائم وضعك اكثر من منزل فى هذه الديار. فهى قريبة من مكتبك. ام تراك لم تعد تدير اعمالك شخصيا هذه الايام؟

- طبيعى انى لا ازال فى عملى فى الشركة، اذ العيش بقية حياتى مترفا، متعطلا، فكرة لا تروق لى. الا انى، حالما اتزوج، سأقلل من نشاطاتى خارج البلاد، وهذا ايضا امر طبيعى.

قالت جولى ملاحظة بسخرية:

- حقا، لقد تغيرت فعلا!

لم يعجبه قولها فنظر بنظرة قاسية، ولفتها قائلا:

- اعتقدت اننا اتفقنا على الا نخوض فى جدل من هذا النوع فى حضور ايما؟

انحدرت السيارة عن الطريق الرئسية واتجهت فى اخرى فرعيه لولبيـة االشكل توصل الى قـرية ثورب هليم، فى الريف. بدا المكان جميلا، حتى ان جولى لاحظت ذلك على رغم كآبتها. اشارت ايما الى بحيرة صغيرة وسط الاخضرار حيث جماعة من البط يسبح باطمئنان.

اوقف روبرت السيارةت فى محاذاة السيارات الاخرى. ثم التفت نحو جولى، وقال:

- حسنا؟ وبدا كأنه ينتظر جوابا ليعرف رأيها.

كـانت لا تزال تتـأمل المنزل. اصبـحت عـاجـزة عن جمع شتـات افكارها. احكمت معطفها غير شاعرة بروبرت يخرج من السيارة هو الآخر ليساعد الطفلة على الترجل من المقعد الخلفى. الى ان اخذت تعدو هذه نحوها هاتفة:

- هل هذا هو المنزل الذى سنسكن فيه، امى؟ الا ترين انه رائع؟

ثم هرولت تتقـدمـهـمـا، من دون ان تنتظر جـوابا. احست جـولى بروبرت الى جانبها. رفعت نظرها نحوه وصدرت منها حركة تلقائية وهى تقول:

- انه جميل. كيف حظيت به؟

أدخل روبرت يديه فى جيبى معطفه، واجاب:

- كان مـعـروضـا للبيع فى سوق العقـارات منذ ثلاثة اشهـر، تاريخ وفاة مايكل تقريبا. اشتريته... لأنه اعجبنى.

واكمل سيره يلحق بايما فى اتجاه المنزل. فتح بابه ودخلا.

تبـعـتـهـمـا جولى بخطى بطيئـة. ارادت ان تشبع نظرها بالمنزل وتستوعب فكرة كون هذا المكان هو حيث ستعيش، ربما بقية حياتها!

كان روبت وايما دخلا الى الصالون الكبير للمنزل، بدأ هو يتحدث فى أمور مختلفة تناول موضوع تأهيل المنزل. كان الجو ممتلئا برائحة الطلاء الجديد. وخلافا لما هو متوقع، كان الدفء يعم ارجاء المنزل، وادركت جولى ان التدفئة المركزية للمنزل كانت تعمل.

انتظرت حـتى ينتـهى روبرت من حـديثـه مع الرجلين، وكـان يستوضحهما فى شأن التصلحات المختلفة. ما ان ابتعد الرجلان عائدين الى عملهما حتى استدار ناحيتها وقال:

- قاربت التصليحات ان تنتهى. الاثاث لم يصل بعد الا انه فى امكاننا القاء نظرة على المكان اذا رغبت فى ذلك.

أشارت جولى ايجابا وهى تقول:

- انى اتوق الى ذلك»ثم ترددت هنيهة»أوه... أوه... روبرت؟

- ما بالك؟

- انى... اشكرك.

- هذه غرفة الاستراحة خاصتك. قد لا يعجبك لون الطلاء. الا ان الوقت سرقنا فلم نستطع انتظارك لتختارى اللون الذى تريدين. يمكنك ان تغيرى اللون اذا شئت فى ما بعد.

- هل اخترت الاثاث كذلك؟

تردد روبرت قائلا، ثم اجاب:

- كلا. فى الواقع، باميلا هى التى اختارته.

- كان ذلك لفتة كريمة منها.

ارتعشت جولى فى غمرة الاحاسيس التى لم تستطع السيطرة عليها كليا. من دون ان تنبس بكلمة، استدارت وصعدت السلم بحثا عن ايما... والامان.

فى احدى الغرف العلوية للمنزل، وجدوا الصندقين الكبيرين اللذين كانت جولى شحنتهما من مالايا. فبادرت ايما ترجو والدتها فتحهما. اعترضت جولى، قائلة:

- لكن، ليس هناك دواليب جاهزة لوضع محتوياتها»ثم استدركت، اذ تذكرت حاجتها الى بعض من ملابسها» لكن قد يكون من الأفضل أن نأخذ معنا الى الشقة من هذه الملابس»ورفعت نظرها نحو روبرت تستوضحه» الى متى... سنبقى فى الشقة قبل انتقالنا الى هنا؟

- لقد اعلمنى المتعهد بأن المنزل سيكون جاهزا خلال اسبوع تقريبا. لذا تستطيعان الانتقال اليه بعد نحو عشرة ايام.

- عشرة ايام! «رددت جولى، وقد فاجأها طول المدة. فتحت حقيبة يدها تبحث فيها عن مجموعة مفاتيح لصندوقى السفر، واستطردت» اذن علينا أن نستعين ببعض من ملابسنا، فلا يعقل أن نبقى، ايما وانا، فى ثيابنا هذه نفسها طوال هذه المدة.

جلس روبرت الى جانب الصندوقين يتفحص الاقفال، وقال يلفت جولى الى ان هذا الأمر ليس ضروريا:

- يمكنكما شراء بعض الملابس الجديدة.

- اتظن ان هذا ممكن؟ بماذا؟

- ان لوالدتى حسابا مفتوحا فى كل محلات المدينة. يمكنك شراء ما تريدينه ضروريا وتضيفين ثمنه الى حسابها.

- كلا، شكرا. «وتابعت تقلب اغراضها فى قاع حقيبتها» اللعنة، اين هى المفاتيح؟

- لم هذا الغضب؟ يجب أن تدركى، كونك ارملة مايكل، أن فى استطاعتك طلب أى شئ تحتاجين اليه.

رفعت عينين يملؤهما الغضب:

- ماذا؟ اتريد ان افعل هذا لأفسح لوالدتك بأن تعيرنى بالاعتماد عليك اعتمادا مطلقا؟

تغير وجه روبرت وغمغم متوعدا:

- يوما ما، جولى...

ثم نظر اليها وقال يحسم الأمر:

- لا اعتقد انك تريدين فتح هذين الصندوقين. هيا بنا الآن لقد تأخرنا، وانا جائع.

ترددت جولى لحظة قبل أن تذعن لارادته. لم تكن تريد حقا فتح الصندوق. ليس الآن. ولم تستطع الا ان تعجب بقوة حدسه ونفاذ بصيرته.

- ألا تعتقد ان علينا العودة الآن؟ اقصد... أن العمال فى انتظارنا ليواصلوا عملهم.

- سأعوض خسارتهم.

- تعتقد ان كل شئ يشترى بالمال. اليس كذلك؟

- لقد اشتريتك. ألم افعل؟

عادت تنظر اليه:

- ماذا تعنى بهذا؟

- حسنا، لا اعتقد انك كنت تزوجت مايكل لو انه كان معدما، اليس كذلك؟

ظهر الرعب جليا فى عينى جولى. ونظرت ايما بنظرة خاطفة، الا ان هذه بدت غير آبهة لحديثهما عادت تستوضحه ثانية:

- لا افهم ماذا تعنى بكلامك؟

فجأة، انتصب روبرت واقفا:

- اوه جولى. كفى عن التظاهر والادعاء الكاذب. فأنت لم تهتمى أبدا بمايكل. وقد واتتك فرص كثيرة، قبل سفرى الى فنزويلا، لتتزوجيه بدلا منى، الا انك لم تفعلى. كلا! انما انا الذى كنت تنصبين شباكك حوله. لذا لا تحاولى ان تنكرى هذه الحقيقة!

كان الهواء البارد فى الخارج منعشا، وتنفست جولى عميقا قبل ان تصعد الى داخل السيارة.

لحظة اوقف روبرت سيارته فى ساحة المبنى الخارجية حيث يقطن، بدأ النعاس يثقل عينى ايما. كما لاحظت جولى ان الظلام بدأ

يظهر والساعة لم تتجاوز الرابعة بعد.

الا ان النعاس طار من عينى الطفلة وهم داخل المصعد فى طريقهم الى الشقة. وما ان وصلوا اليها حتى كانت استعادت حيويتها كاملة الى درجة سمحت لها بأن تمتع لوسى بمبرتون بأخبار ما جرى معهم وما شاهدوه خلال نهارهم، ولا سيما قصة الصندوقين وموضوع الغداء المتأخر فى مطعم «اللثور الأسود».

ترك روبرت جولى وابنتها مع والدته ودخل غرفته. وبدت لوسى منتبهة الى ما كانت ايما تحكيه. اما جولى فنزعت عنها معطفها وهى تتجه نحو الباب قاصدة غرفتها، وقد احست برغبة فى قضاء بعض الوقت وحيدة. اذ، بعد احداث الساعات القليلة الأخيرة، شعرت بحاجة الى بعض التأمل والتفكير.

غير ان لوسى، وقد لاحظت أنها تهم بالخروج، بادرتها قائلة:

- لا تذهبى الآن، جولى. فهالبيرد يستطيع أن يعيد معطفك الى الدولاب تعالى واجلسى، اريد ان اعرف رأيك فى المنزل.

اسقط بيد جولى،معطفها على مقعد، وقفت لتجلس على مقعد آخر قريب من الأريكة حيث جلست حماتها وطفلتها ثنت ساقا على ذراع المقعد الجلدى الوثير، وقالت معلقة:

- انه منزل جذاب، هل شاهدته؟

- بالطبع. لقد اصطحبتى باميلا الى هناك يوم كنت فى زيارة لأهلها.

- حسنا.

- هل تعلمين ان باميـلا هى اول من وقع نظره على المنزل؟ فى الواقع كـان ملكا لعائلة تربطهـا صلة صـداقـة بأهلهـا. الا ان العـائلة اضطرت الى السفر. وهكذا... عرض المنزل للبيع.

تدخلت ايما تسأل جدتها:

- من هى باميلا؟ هل هى عمة لى؟

التفتت لوسى الى الطفلة وأجابتها فى ابتسامة:

- قريبا، ستكون هكذا، عزيزتى. لأنها ستصبح زوجة عمك روبرت.

- آه «علقت ايما وشفتاها متكورتان» هل هى لطيفة؟

- انها لطيفة جدا عزيزتى. ستتعرفان اليها غدا.

عادت ايما تسألها وأصبحت مهتمة للأمر ويدها تسند ذقنها:

- غدا؟

ألقت لوسى نظرة عابرة على كنتها قبل أن تجيب:

- انهـا قـادمـة مع والدتهـا لتناول العـشـاء عندنا مـسـاء غـد، فى مناسبة التعرف اليكما، جولى.

بلعت جولى ريقها تسأل بدورها:

- حقا؟

ولم ترقها فكرة لقاء المرأة التى ستصير زوجة روبرت.

- نعم. رأينا انه من الأفضل لك، قبل أن نعرفك الى اصدقائنا، ان تنالى وقتـا من الراحـة لأيام قليلة. ثم ان مـسـاء السبت هو الوقت

الأفضل لذلك الا توافقيننى الرأى؟

- اذا كنت تعتقدين ان هذا مناسب، فهو كما تقولين.

وسألت حماتها:

- نسيت ان اسألك. هل تشعرين بتحسن هذا الصباح؟

رفعت لوسى كتفيها وقالت:

- انى احسن حالا. شكرا «ثم عادت تلتفت الى ايما» اخبرينى، عزيزتى، هل لاحظت الأرجوحـة المتدليـة من شـجـرة الكرز فى حـديقـة منزلكمـا الجديد؟ لقد قالت لى باميلا انها كانت تتأرجح فيها ايام طفولتها.

هزت ايما رأسها بعجب نفيا:

- كلا، لم أر اى ارجوحة.

قالت لوسى مقطبة:

- هذا غريب.

الا ان ايما اوضحت لجدتها:

- لم نخرج الى الحديقة «ثم توجهت بكلامها الى والدتها» لماذا لم نفعل هذا، امى؟

رفعت جولى كتفيها كأنها لم تول الأمر اهمية. واجابت:

- لم يكن لدينا متسع من الوقت.

علقت لوسى بتهكم قائلة:

- عذر أقبح من ذنب. كان لديكم وقت كاف.

- حسنا، اظن ان الأمر لم يخطر فى بالنا.

ردت لوسى بشدة:

- لقد امضيتم وقتا طويلا خارجا.

دخل هالبيرد، تلك اللحظة، وبادر لوسى:

- هل ترغبين سيدتى فى فنجان شاى؟

أطرقت هذه للحظة قبل ان تجيب:

- اوه نعم... نعم، اعتقد ذلك.

اما جولى فاستبقت سؤاله لها و قالت:

- لا تزعج نفسك من اجلى..»ثم استدارت فجأة على عقبيها» فأنا ذاهبة إلى حجرتى.

اجاب هالبيرد مبتسما:

- كما تشائين، سيدتى.

عادت لوسى تسأل الخادم:

- اين السيد روبرت؟

- لقد خرج، سيدتى.

- خرج! »رددت لوسى كلمته وقد فاجأها الجواب» لكن لم تمض على عودته لحظات؟

- نعم، سيدتى، اؤكد لك انه خرج.

- هل ذكر لك الى اين هو ذاهب؟

- قال لى ان اخبرك، اذا ما سألتنى، انه ذاهب الى المكتب، ولن يتأخر فى العودة.

عادت ايما تسأل جدتها، وهى تزرع الغرفة جيئة وذهابا، وتأخذ بما تطوله يدها:

- هل استطيع ان اشاهد التلفزيون، جدتى؟

بدت لوسى متضايقة، فأجابتها فى امتعاض:

- لم لا؟ »والتفتت الى هالبيرد» هلا فتحت الجهاز هالبيرد؟

فتح هالبيرد الجهاز. وما هى الا لحظات حتى ظهرت الصورة على الشاشة بالألوان. بدت ايما مسرورة جدا فهتفت:

- آه... اليس هذا رائعا؟

أشارت جولى للطفلة ايجابا، وسارت نحو الباب فبادرها هالبيرد قبل ان تخرج:

- هل ترغبين فى فنجان شاى، احضره الى غرفتك، سيدتى؟

ترددت لحظة ثم تمتمت:

- لا اريد ان ازعجك بالأمر.

خهز هالبيرد رأسه قائلا:

- ليس هناك اى ازعاج فى الأمر، سيدتى.

بدا الضيق فى تنهيدة اطلقتها لوسى وقالت معلقة فى حدة:

- اذا ما كانت السيدة بمبرتون ترغب فى فنجان شاى، فما عليها،

www.elromancia.com

هالبيرد، الا ان تتناوله هنا، معى.

- اوه! بالطبع، سيدتى.

تنهدت جولى هى الأخرى قبل ان تجيب:

- انى آسفة. لا استطيع ذلك الآن.

- هل انت فعلا آسفة؟سألتها لوسى والشك فى نبرات صوتها واضح. ثم تناولت منديلا صغيرا عالجت به طرف انفها وأردفت، فى اى حال، بما ان علينا ان نعيش معا... على الأقل لبضعة ايام مقبلة، فانى اكون ممتنة اذا ما حاولت ان تتصرفى معى باسلوب أقل عداء.

أسندت جولى جبينها الى اطار الباب البارد، وقالت:

- حسنا، سأحاول.

اعادت لوسى منديلها الى مكانه وهى تسألها:

- هل ستكونين حاضرة فى موعد العشاء؟

أشارت جولى مؤكدة:

- طبعا.

- حسنا.

كان جواب لوسى ايذانا منها بانتهاء الحديث مما ازعج جولى، فأغلقت االباب وراءها وسلكت الممر الى غرفتها. وما ان ولجت بابها، حتى احست بنفيسها عاجزة عن كبت مشاعرها، فألقت بنفسها على السرير وأطلقت العنان لدموع حارة.

لم تر جولى روبرت ثانية الا بعد ظهر اليوم التالى. اذ لم يعد لتناول العشاء تلك الليلة. وهذا ما حدا بوالدته على ان تشرح لجولى بسرور، وهما على العشاء، ان سبب تخلف روبرت، ارتباطه وباميلا بحضور سهرة عائلية يقيمها احد اصدقائهما. ويبدو انه عاد من مكتبه فيما كانت جولى بحجرتها، فبدل ملابسه ثم خرج ثانية. اما ايما، فذهبت الى فراشها نحو السابعة كما عادتها ان تفعل. لذا لم يبق على مائدة العشاء سوى جولى وحماتها.

كان الصمت سائدا، والجو لا يبعث الشهية، ولم تتمتع جولى بطعامها. بعد العشاء عادتا الى غرفة الجلوس لتشاهدا التلفزيون.

بادرت لوسى وهى تستريح فى مقعد:

- مما لا شك فيه انك ستجدين صعوبة فى التكيف مع نمط حياتنا هنا. ثم انك لم تتعودى ابدا مستوى العيش الاجتماعى الذى نحياه. اليس كذلك جولى؟

تظاهرت جولى بأنها مشدودة الانتباه الى الفيلم الذى كان يعرض تلك اللحظة على الشاشة الصغيرة ومن دون أن تلتفت الى محدثتها سألتها:

- ماذا قلت؟

ردت لوسى بلهجة تشوبها الحدة:

- قلت انه يصعب عليك التكيف مع نمط حياتنا. فلا اظن ان الحياة فى بقعة نائية فى مالايا يمكن أن تقارن بمستوى الحياة الاجتماعية، هنا، فى لندن؟

- كلا. لا اظن المقارنة ممكنة.

أردفت الحماة تسترسل فى حديثها:

- لم يتسن لك ايضا العيش معنا لتتعودى طريقة عيشتنا قبل أن يأخذك مايكل معه بعيدا. لم أكن لأتصور ان فى استطاعة مايكل ان يجد الاكتفاء الذاتى فى مكان كالذى عشتما فيه، اذ اعتقدت انه كان يعشق العيش هنا، فى لندن.

علقت جولى:

- لقد التحق بالبحرية قبل ان يتعرف الى.

- نعم. اعرف هذا، فهو كثيرا ما احب الأبحار، منذ كان صغيرا. لكن ان يقبل وظيفة فى بلد بعيد... وظيفة دائمة.

- تلك كانت رغبته.

- اعرف هذا، الا ان تصرفه كان بعيدا عن قناعاته «مالت لوسى لتتناول فنجان الشاى الذى على طاولة قريبة منها، وأضافت» الا انى اعتقد ان قراره ذلك جعل الأمور اقل صعوبة بالنسبة اليك.

حاولت جولى جهدها ان تبقى هادئة، واستوضحتها:

- اقل صعوبة؟

- طبعا. اقصد... انك لم تكونى على صلة بنمط حياتنا. اذ انك لم تتعودى قبلا الحياة الاجتماعية بمعناها الصحيح... كأن تقيمى الحفلات والمآدب! انا متأكدة مثلا انك لم تحضرى لائحة طعام أبدا فى حياتك؟

- كلا. ففى الملجأ حيث ترعرعت، لم يعلمونا اشياء كثيرة كهذه.

لم يرق لوسى جواب جولى لها، فقالت:

- لنكف عن الجدل، جولى. كل ما احاوله هو التفاهم واياك.

قالت جولى:

- انى لا اجادلك»وتنفست عميقا، ثم اضافت» قد تفاجئين اذا ما ادركت انى كنت ومايكل سعيدين؟

- نعم. ثم انه لم يكن يحب مجتمع لندن، ابحر كثيرا؟ نعم. لا اخالفك الرأى فى ذلك. كان لنا مركبنا الخاص، مركب صغير، نقضى على متنه اجازتنا الاسبوعية، نسبح، نستلقى تحت الشمس، وندعو احيانا اصدقاءنا الى امسيات حلوة. تلك كانت... حياة رائعة.

ظهر الغضب فى ارتعاشة شفتى لوسى:

- لو لم تقنعى مايكل بقبول تلك الوظيفة هناك لكان لا يزال حيا يرزق الآن.

تغير وجه جولى:

- هذا ليس صحيحا!

سألتها لوسى بلهجة عداء:

- وكيف لك ان تعرفى؟

ترددت جولى لحظة، تضغط كلتا شفتيها. فهى لم تشأ ان تبحث مع لوسى فى مواضيع وتفاصيل حميمة، كموضوع صحة مايكل مثلا، على رغم ان هذه والدته. ثم اجابت:

- لأن السبب الذى حدا به على قبول وظيفته خارج البلاد، كان

نصيحة طبيبه الذى اشار عليه ان يقلل من نشاطاته.

- ماذا؟ انى لا اصدق كلمة واحدة مما تقولين!

- انها الحقيقة. لم اعرف بالأمر الا... الا بعد ان اصيب بنوبة قلبية اخرى، فاضطر الطبيب الى ان يشرح لى الحقيقة» جولى فى مقعدها الى الوراء وأردفت» الا ان مايكل لم يعر بحالته الصحية اهتماما كافيا..

كانت لوسى تدقق فيها، شفتاها ترتعشتان. وأحست جولى، للحظة، بعطف عميق حيال هذه المرأة:

- انك تختلقين ما تدعينه حقيقة... اذ لو ان ما تقولينه صحيح لكان اطلعنى عليه، فانا والدته!

اجابت جولى غير مكترثة لاتهامها:

- لم تعرفيه جيدا كما عرفته.

- بل عرفته لثمانية وعشرين عاما. اى مقدار اربع أو خمس مرات اكثر مما عرفته.

اجابت جولى بهدوء:

- صحيح. لكن ليس كما عرفته انا صدقينى. انها الحقيقة. ولست احاول بهذا ايذاء شعورك.

قامت لوسى من مقعدها:

- هل اخبرت روبرت ما تخبرينني به؟

- كلا. لم اخبر احد بهذا.

- اذن، اتمنى عليك الا تفعلى» اخذت لوسى تزرع الغرفة بخطواتها التائهة» افضل ان يعتقد الجميع ان وفاة مايكل كانت نتيجة حادثة مأسوية غير منتظرة، قد تحصل لأى كان فى اى زمان ومكان:

- لكن الذى حدث هو ما اخبرتك به.

هتفت جولى وفى داخلها حرقة، اذ ادركت ان لوسى لن تقبل فى اى حال ان يعرف اصدقاؤها السبب الحقيقى لوفاة مايكل وانه اخفى عن اهله حقيقة اعتلاله، وبخاصة امه، طوال ستة اعوام.

- هل تتجرأين، صراحة، على ان تجهرى بهذه الحقيقة؟

- طبعا، استطيع.

لم تعد تفهم شيئا من احداث الفلم الذى كان يعرض على الشاشة الصغيرة. ثم صدرت اشارة من لوسى رغبة منها فى انهاء هذا الحوار، وقالت:

- على كل، موضوع مايكل شئ من الماضى. وما من شئ يستطيع ان يفعله اى منا لاعادته الينا حيا. شكرا لله، ان روبرت بقربى... وايما ايضا، بالطبع.

انتصبت جولى ولم تتمالك نفسها من سؤال حماتها:

- وماذا بعد ان يتزوج روبرت؟

- ماذا تقصدين؟

رفعت جولى كتفيه، قائلة:

- لا شئ.

لكن لوسى عادت تسألها وهى بادية الازدراء.

- او تظنين زواج روبرت سيغير من حبه لى؟ أوه، كلا. فهو ليس كمايكل. ولن يقوم باى عمل قد يؤذينى. هذا، فضلا عن ان الفتاة التى سيتزوجها تتفهم علاقتنا ومقدار حبه لى. انها فتاة لا تعرف الأنانية. وهى بالتالى صديقة مخلصة لى.

تنهدت جولى عميقا. كان هناك الكثير تستطيع قوله. وان ترد بقسوة على كلام حماتها. وان توضح لها ان العلاقة بين صديقتين هى غيرها تماما بين زوجة وحماتها. الا انها كتمت ما كان يراوح فكرها، تلك اللحظة، وتوجهت نحو طاولة عليها براد الشاى تصب لنفسها فنجانا. ثم سألت لوسى:

- اترغبين فى فنجان ثان؟

- كلا، شكرا.

- شربت قليلا من فنجانها. ثم تفحصت الوقت فى ساعة معصمها:

- انها التاسعة والنصف. هل لديك مانع ان اذهب الى سريرى؟

- اطلاقا. واضح ان لا قاسم مشتركا فى حديثنا.

بعد ظهر اليوم التالى، اخذت لوسى ايما فى نزهة الى الحديقة العامة. كان يوما رائعا من ايام أكتوبر، حيث يتحول الصقيع على اغصان الاشجار الى ماس يشع تحت نور الشمس، والهواء نقى منعش.

سألت ايما والدتها ان ترافقهما، الا ان جولى امتنعت، اذ ادركت ان لوسى ترغب فى الاختلاء بالطفلة. فهى جدتها، رغم كل شئ.

وكان روبرت قد خرج صباحا هو الآخر، حتى قبل ان تصحو جولى

من نومها، وبعد ان اخطر هالبيرد انه لن يعود ظهرا الى الغداء. وهكذا، بقيت جولى وحيدة فى الشقة، عدا الخادم طبعا.

كانت تجلس فى الصالون، تتمتع بلحظات قليلة من الحرية حين رن جرس الباب. نهضت من مقعدها تلقائيا. وظهر هالبيرد قبل ان تستطع التوجه لترى من الطارق:

- سأستطلع من القادم، سيدتى.

قالها هالبيرد بدمائته المعهودة. وعادت جولى الى مقعدها.

ما هى الا لحظات، حتى سمعت صدى أصوات، هالبيرد يرفع صوته على غير عادته. ثم تناهى اليها صوت الباب يغلق. نظرت فى اتجاه باب الصالون فاذا بهالبيرد يدخل، رزم وعلب ملء يديه.

هتفت مبتسمة:

- بحق السماء! ما هذا؟

تردد هالبيرد بدءا، ثم اوضح قائلا:

- انها مرسلة اليك، سيدة بمبرتون. اين ترغبين ان اضعها؟ فى غرفتك؟

- لى، انا؟ «رددت جولى غير مصدقة» لكنى... لم أوص بشراء اى شئ؟

اجاب هالبيرد جازما:

- هذا ما قاله لى العامل الذى جاء بها.

- هل انت متأكد انها ليست لوالدة السيد روبرت؟

- كلا، سيدتى. انها للسيدة جولى بمبرتون.

تركت جولى مقعدها، وقالت:

- من الافضل، اذن، ان تضعها هنا، وسأرى ما فيها.

سألها هالبيرد وابتسامة تملئ وجهه:

- حسنا، سيدتى. اذا كان هذا ما تريدين... ام انك تفضلين ان افتحها لك؟

فوافقت جولى على عرضه وقد تخضبت وجنتاها.

وضع الخادم مجموعة العلب قربها على الكنبة. ولاحظت جولى اسم الماركة التى على العلب فتصلبت. اذ هو اسم احد اشهر محلات الثياب فى لندن. وللحال عرفت ما تحويه الرزم هذه.

قالت له بصوت متقطع الوتيرة:

- شكرا لك. استطيع ان افتحها بنفسى لكنها لاحظت ان هالبيرد كان لا يزال يرمقها بتساؤل، فاردفت، حسنا. هذه العلب لا تخصنى.

- لكن العامل الذى احضرها...

- نعم. اعرف ما قاله. لقد ظن انها مرسلة الى. الا ان الحقيقة غير ذلك. دعها هنا، هالبيرد، سأتدبر امرها.

- كما تريدين، سيدتى.

تنهدت جولى عميقا ووقفت تدقق فى مجموعة العلب بعينين نفذ الصبر منهما. ترى، من الذى اوصى عليها؟ روبرت؟ ام هى باميلا المرأة التى لم تقابلها بعد؟ فى اى حال، يجب ان تعاد هذه العلب اليه، كائنا من كان. فهى ليست فى وارد قبول اى شئ من آل بمبرتون!

نهضت، بادية التبرم، وسارت فى اتجاه العلبة المرمية على السجادة. وقفت قربها تحاول اعادة ما تحويه واحكام غطائها ثانية. كان ثوبا قماشه ناعم الملمس ينزلق على راحة يدها. تناولت القطعة، وبدافع غريزى، تفحصتها.

تفحصت الثوب، فاذا هو رداء طويل، له كمان عريضان وياقة عالية امسكت به تقيسه على قامتها، وادركت انه من مقاسها تقريبا. ومجرد الاستنتاج هذا ضايقها.

وبينما هى فى حال تأملها هذه، تسر الى نفسها بتساؤلات شتى، تناهى اليها صوت الباب الرئيسى يفتح. وما هى الا لحظات قليلة حتى دخل عليها روبرت. كان يرتدى معطفا متوسط الطول ذا قبة من الفرو.

فوجئ اذ وجدها وحيدة. بصى بنظرة فى ارجاء الصالون متسائلا، ومتجاهلا فى آن وجود العلب الملقاة على الكنبة. ثم سألها:

- اين الجميع؟

اجابته وانفاسها تتضاءل:

- فى نزهة فى الحديقة العامة.

وخلع معطفه بينما ظهر هالبيرد يتناوله منه.

قال الخادم يسأل سيده:

- اترغب فى بعض الشاى، سيدى؟

نظر روبرت الى جولى يستطلع رغبتها هى ايضا، فردت نفيا. اذ ذاك التفت الى هالبيرد:

- كلا، شكرا، هالبيرد. ربما فى ما بعد، متى عادت السيدة بمبرتون.

- كما يشاء سيدى.

وانسحب هالبيرد. اما جولى فقامت تبتعد عن الكتبة الى وسط الغرفة، وهى تتوقع منه فى اى لحظة توضيحا فى شأن بادرته.

لكن روبرت بدا عازما على الا يخوض فى موضوع العلب. القى بنفسه على مقعد، ثم اشعل سيجارا بلا مبالاة مثيرة. اخيرا، لم تعد تستطيع احتمال الامر. فبادرته:

- حسنا. لماذا فعلت هذا؟

- فعلت ماذا؟ جولى؟

- لماذا بعثت لى هذه الاشياء؟

- هل انا الذى ابتاعها؟

- اجبنى صراحة. الست انت الذى اشتراها؟

- وماذا لو كنت انا الذى اشتراها؟

- أوه، كف عن تجاهلك الاجابة مباشرة عن سؤالى!» اطبقت راحتيها، كنت نبهتك... الى انى لا اريد منك شيئا.

- أنا آسف اذا كنت خيبت ظنك. غير انى لست مسؤولا عن شراء هذه الاشياء.

- اذا لم تكن انت الذى اشتراها، فمن يكون اذن؟ لا تقل لى هى والدتك التى بعثتها!

- وماذا فى هذا؟

- لا يعقل ان تكون فعلت امرا كهذا!

- حسنا. آسف ثانية ان اخيب ظنك. لكن والدتى هى التى اشتريت هذه الملابس» واخذ يراقب رد فعلها بعينين نافذة، ثم اضاف» اغلب الظن انها ادركت ان ما لديك من ثياب ليس ملائما لظروف وضعك المستجد.

مررت جولى يدا مرتعشة على شعرها، وقالت ثائرة:

- كيف تجرؤ على ان تفرض على ما ارتدى؟» واضافت وعلامات الازدراء فى ملامح وجهها» آه، بالطبع، كيف لم يخطر هذا فى بالى قبل الآن؟ انها مأدبة العشاء لهذه الليلة. هذا ما دفعها الى شراء هذه الثياب. اليس الامر كذلك؟ اتراها تخشى ان احط من قدرها؟ فاظهر كأننى المعدمة!

- هدئى من روعك، جولى! وكفى عن التصرف كطفل مدلل! ان اختيار والدتى شراء بعض الثياب لك يفترض فيك ان تقابلى لفتتها هذه بالشكر. هذا أقل ما يمكن ان تفعليه! هل تعلمين انك تبعثين الاشمئزاز فى نفسى؟

ردت عليه وهى مهتاجة:

- ليس بمقدار الاشمئزاز الذى تبعثه انت فى نفسى.

- انت مصممة على دفع الامور نحو الاسوأ. اليس هذا ما تفعلين؟

- اذا كان ما ارتديه لا يليق بكم... وباصدقائكم، فسابقى فى

غرفتى هذا المساء.

- بل ستفعلين ما اقوله لك.

- ومن ذا الذى سيضطرنى الى الامتثال لكلامك؟» وارتدت خطوتين، اذ لاحظت الغضب الشديد الذى اخذ يتملكه، ثم اضافت مستطردة» يظهر ان والدتك كانت تعلم سلفا بشعورى حيال هذا الامر، فاشترت هذه الملابس لتغيظنى.

اوغل روبرت انامله فى شعره الكثيف ثم اراح يده على مؤخر عنقه وقد اعتراه سأم. وبصوت جاف عاد يخاطبها:

- لا تتطقى هراء. انت تدركين جيدا ان ما كنت ترتدينه فى مالايا لن يبدو مناسبا عمليا، خصوصا فى فصل الشتاء هناء ثم ارخى نظره الى حيث مجموعة العلب وسألها» ألم تنظرى ما فى داخلها؟

- كلا حتى انى لم احل رباطها.

تردد روبرت لحظة ثم فك ازرار سترته وانحنى يحل رباط اقرب علبة طاولته يده. كانت العلبة تضم تنورة من الجوخ لونها اخضر. اخرجها وتأملها متفحصا. ثم قال بنبرة متزنة:

- يبدو انها تناسك.

- انك لا تردد فى اهانتى. اليس كذلك؟

- ولماذا اتردد؟ فانت لا تجدين فرصة فى اهانتى.

- انا... أهنتك؟ وكيف هذا؟

- كيف تتصورين كان شعورى حين عدت من فنزويلا وادركت انك

تزوجت مايكل؟

- افضل الا نرجع الى هذا الموضوع.

- انا متأكد انك لا ترغبين فى بحث هذا الموضوع. اذ هو لا يقبل الجدل! «ظهرت ابتسامة قاسية عند طرفى شفتيه. واضاف» الا انك كنت صريحة معى، صريحة بحق، لقد جعلتنى ادرك بوضوح اى غبى كنت فعلا...

- انت لا تدرك حقيقة الامر!

- بل انى ادركها جيدا، جولى. فقسم من الصفقة التى اتممتها كان بدافع المال، اليست هذه فى النهاية حقيقة الامر؟ كنت قد نجوت من مصيدتك. اى رصيد فى مصرف هو بقيمة اى رصيد آخر!

مدت جولى يدها وصفعته بقوة، مما اجبره على التوقف عن حديثه. لم تدرك ماذا سيكون رد فعله. الرد بالمثل، تصورت. الا ان روبرت لم يحرك ساكنا، بل ظل يدقق فيها بنظراته الحادة، وآثار الضربة واضحة على خده. فجأة، استدار على نفسه وخرج من الصالون.

حدقت جولى فى الباب المغلق بعينين دامعتين، وهى تسأل نفسها: رباه، ما الذى فعلت؟

عادت تنظر الى العلب على الكنبة. وراودها شعور بتمزيقها إرباً مع محتوياتها. لكن هذا لن يفيد فى شئ، سوى كونه اثباتا لاتهامه اياها بالمراهقة.

٣ ـ الطفلة المستجيبة

استجمعت كل قواها قبل ان تفتح الباب وتدخل الى القاعة. وما ان خطت اولى خطواتها حتى تلاشت الاصوات تدريجا واتجهت انظار جميع الحاضرين صوبها.

بادرت لوسى قائلة، وهى تدنو من كنتها، وابتسامة متكلفة تواكب نظراتها:

- ها انت اخيرا، جولى! نحن جميعا فى انتظارك. تعالى اقدمك الى الحاضرين.

- أخذتها من ذراعها ومشت واياها الى حيث يقف الآخرون، وعينا جولى شاخصتان الى امرأة شابة طويلة القامة، كانت تقف الى جانب روبرت. لم تكن باميلا هيلينغدون كما تصورتها جولى، الا ان هذه لم تستطع انكار كون المرأة جذابة. شعرها بنى، ممتلئة الوجه نظرة الملامح. ثوبها الطويل ذو اللون الأرجوانى ابرز قوامها الرشيق.

نظرت جولى الى روبرت. بدا هو الآخر ذا ملامح تنطق بالرجولة. كان يرتدى بذلة سهرة. وأحست جولى بانكماش فى معدتها جعلها تشعر باضطراب خفيف. عيناه الرماديتين تتلطيان خلف رموشه الكثيفة وبدا وجهه خلوا من اى تعبير.

- فرنسيس... لويز... اقدم اليكما جولى. جولى، اقدم اليك والدى باميلا. باميلا، عزيزتى، اقدم اليك جولى.

صافحت الجميع بحركة آلية. وبدا لها والدا باميلا اصغر سنا مما تصورت. هما فى اواخر الأربعينات من العمر. كانت عينا فرنسيس هيلينغدون الزرقاوان باعجاب لا تحفظ فيه. وبدا لجولى رجلا جذابا. لم يكن بطول قامة روبرت، الا انه كان قوى البنية. شعره اسود يخالطه شعر أبيض. سالفاه طويلان.

اما لويز فكانت كابنتها طويلة. ويبدو للناظر اليها وزوجها أن ابنتها ازاءهما غير ذات اهمية.

بعد ان تعارف الجميع، بادر فرنسيس قائلا:

- لقد تعرفنا لتونا الى إيما. انها سيدة صغيرة رائعة.

ضحكت ايما قائلة:

- لقد ظن السيد هيلينغدون ان بيجامتى ورداء النوم ما هما سوى الموضة الجديدة للباس السهرة.

ابتسمت جولى لها، وقالت:

- هل قال هذا فعلا؟ «ثم أردفت تذكرها» اعتقد انك اوضحت للجميع ان على السيدات الصغيرات الآن ان يأوين الى فراشهن.

انعكست ملاحظة جولى ظريفة على وجه ايما، وقالت تسأل:

- هل هذا يعنى ان على ان أذهب الى فراشى؟

اجابت جولى بحزم:

- نعم.

بادر روبرت يسألها بصوت بارد :

- ماذا تودين ان تشربى، جولى؟

- كوب من عصير البرتقال، اذا سمحت.

ما أن ترك روبرت المرأتين وحدهما، حتى بادرت باميلا بالقول:

- هل تجدين صعوبة فى التكيف ثانية مع الحياة فى لندن؟ لابد انك وجدت الطقس باردا، اليس كذلك؟

تدخلت لويز هيلينغدون للحال:

- هل كنت تعيشين فى مالايا؟

أشارت جولى برأسها ايجابا:

- نعم، هذا صحيح «ثم اخذت من روبرت كوب العصير» اوه، شكرا «وعادت تكمل حديثها مع السيدتين» نعم. الطقس بارد جدا، الا ان التدفئة المركزية فى الشقة تخفف من الاحساس بقسوته.

سألها فرنسيس وهو يقدم لها لفافة تبغ:

- ما رأيك فى منزلك؟ كان ملكا لأحد اصدقائنا.

- نعم. لقد قيل لى هذا. يبدو منزلا جميل جدا. لقد اخذنى روبرت لمشاهدته. البارحة.

نظرت باميلا الى خطيبها وعادت خطوة الى الوراء لتفسح له مجال مشاركتهم فى حلقتهم، ثم سألته:

- متى سيكون فى استطاعة جولى ان تنتقل الى منزلها؟

اجاب روبرت:

- بعد اسبوع او اكثر قليلا. فأعمال الديكور اوشكت على الانتهاء.

نظرت باميلا الى جولى ثانية، وسألتها:

- هل اعجبك الديكور؟

- اعجبنى جدا. عرفت ان معظم التصاميم كان لك فيها الرأى الأخير.

ابتسمت باميلا معلقة:

- هذا صحيح. كان الأمر مسليا بالفعل، نوعا من التمرس، لى ولروبرت، الى ان نجد منزلنا الخاص.

فى تلك اللحظة، بادرت لوسى هاتفة:

- اليس من السخافة بمكان ان نظل جميعا وقوفاً، هنا؟ الا يمكننا ان نجلس فى راحة؟

التفت روبرت نحو لويز:

- هلا تفضلت بالجلوس، لويز؟

جلست ايما على يد مقعد والدتها. والحديث دخل فى العموميات. وما هى الا دقائق قليلة لاحظت جولى ان النعاس بدأ يغالب عينى ابنتها. اذ اخذ جفناها ينزلان على عينيها تعبا. نهضت من مقعدها قائلة:

- هيا بنا، حبيبتى، اضعك فى فراشك.

نهض روبرت وفرنسيس، احتراما. وبابتسامة اعتذار طلب من ايما ان تلقى التحية على جدتها والآخرين وتأخذها الى غرفتها.

عادت جولى بعد فترة قصيرة وكان العشاء جاهزا. فتوجه الجميع الى غرفة الطعام.

فى الصالون، وضع روبرت بضع اسطوانات، فامتلأ الجو بألحان«البعد الرابع» للموسيقار بيرت بكارا.

جلست باميلا وروبرت على كنبة واحدة، فيما استغرقت لوسى ولويز فى حديث ثنائى طويل. وباعتبارهما والدتى عروس المستقبل، فقد كان طبيعيا أن يدور حديثهما حول تفاصيل حفلة الزواج. وهكذا، بقيت جولى وحيدة مع فرنسيس.

بعد ان غادرت عائلة هيلينغدون، احست جولى كما لو انها كانت تعرف فرنسيس منذ اعوام طويلة. وشعرت بالامتنان له كونه جعل امسيتها الصعبة تنقضى ساعاتها بسرعة ومتعة.

وصلهم روبرت الى سيارتهم. وبعد خروجهم، تنهدت لوسى تعبيرا عن الرضى.

قالت تسأل جولى:

- أو ليسوا عائلة رائعة؟

- بالكاد تنسى لى التحدث مع اى منهم، اللهم سوى أطراف حديث تبادلته مع فرنسيس.

- فرنسيس! «بدت لوسى مذعورة، وأضافت» لا اظنك ناديته باسمه مجردا، كما فعلت الآن؟

- ولم لا؟

- اسمعى، عزيزتى، انت بتصرفك هذا لم تكونى فى مستوى اللائق. اتدرين من يكون؟

- لست مهتمة للأمر كثيرا.

- اذن، ربما من الأجدر بك ان تعلمى انه رئيس مجلس ادارة شركة هيلينغدون. والده هو السيد ارنولد هيليغدون. وسيرث والد باميلا اللقب هذا بعد وفاة ابيه.

- شئ عظيم!

امتلئ وجه لوسى من الغضب، وقالت:

- كان على ان ادرك سلفا ان معلومات كهذه لا وقع لها فى نفسك ولا قيمة...

- فعلا، اعرف هذا. ولن اكون فى أى حال عقبة فى طريق احد.

بدأت لوسى تفرغ منفضة ملأى بأعقاب السجائر فى سلة قمامة صغيرة، ثم سألت جولى:

- لم اكن ادرى انك تدخنين؟

- انى لا ادخن.

- لكنك فعلت هذا المساء!

- ادخن فى المناسبات فقط، هذا كل ما فى الأمر»وتنهدت قبل ان تضيف» هل استطيع ان أذهب الى فراشى؟

اجابت لوسى وهى تستدير مبتعدة:

- لم لا؟

- لم اكن متأكدة مما اذا كان يحق لى ان افعل من دون استئذان.

فجأة، فتح باب الشقة ثم أغلق ثانية، وكان القادم روبرت. دخل الغرفة وهو يفك أزرار سترته. وبدا متضايقا لكثافة دخان السجائر. وظهرت زعلة على وجهه، تماما كما تفعل ايما. وحبست جولى انفاسها. احست باقترابه منها، ثم وقف قبالتها. بادرها بصوت بارد ميزت فيه لهجة تحد.

- حسنا؟ اراك غيرت رأيك؟

لم ترد جولى على ملاحظته، اذ ادركت انه كان يشير بكلامه الى ثيابها. اما لوسى فتملكتها الحيرة والتساؤل.

- غيرت رأيها؟

قال روبرت واشارة من يده تحسم تساؤل والدته:

- لا شئ!

ثم جال بنظره فى الغرفة وأردف:

- ما هذه الفوضى!

رفعت لوسى كتفيها استخفافا. وقالت:

- هالبيرد سيهتم بأمر تنظيف الغرفة صباحاً.

سار روبرت الى حيث وعاء العصير. سكب لنفسه كوبا، ثم التفت نحو والدته يسألها:

- اترغبين فى كوب؟

سبقت جولى فى الجواب:

- انا ارغب فى واحد.

صب روبرت لها كوبا وحمله اليها. بادرت لوسى تثير ثانية موضوع علاقتها المتوترة بجولى. وشكت لابنها معاملة كنتها لها وتصرفاتها الاستفزازية، فتطلع روبرت ناحية والدته متأملا، ثم قال:

- اذا كانت علاقتكما مستعصية فما من احد يمنعك من العودة الى شقتك.

فوجئت باقتراحه هذا. اذ لم يكن من عادته ان يتكلم مع والدته بهذا الاسلوب العنيف.

هتفت لوسى بفزع:

- ماذا؟ واتركك هنا وحيدا... معها؟

وماذا فى الأمر؟ «سألها روبرت ساخرا، ثم اضاف» لا اظنك تعتقدين ان فى الأمر مانعا... من كلا الطرفين؟اجابت لوسى وهى تدقق فيه محاولة استقراء ما يدور فى ذهنه:

- بل هناك مانع. هذا فضلا عن انى لست متأكدة من ان باميلا ستقبل ان اترك الشقة.

مرر روبرت راحة كفه على عنقه:

- ولم لا؟

اجابت لوسى:

- لا تكن بليد الذهن روبرت.

- لست كذلك، امى. اذا كنت تقصدين ما اظنه يراود مخيلتك، فلا اعتقد صراحة ان وجودك سيكون عقبة فى طريقى اذا ما رغبت فى مغازلة جولى!

هتفت لوسى وقد امتقع وجهها:

- روبرت!

الا ان روبرت هتف بدوره غاضبا:

- انها الحقيقة، امى. فى الواقع ان وجودك هنا بهدف حمايتى ليس ضروريا. جولى هى ارملة اخى... لهذا، على ان انهض باحتياجات معيشتها. هذا كل ما فى الامر. هل انت مقتنعة الآن؟» استدار مبتعدا، ثم أردف قائلا» الآن، الأفضل لنا جميعا ان ننال قسطا من النوم، فانا متعب.

نهضت جولى من مقعدها وهى تشرب ما تبقى من كوبها. رمقتها بمرارة، وقالت لروبرت ملاحظة بسخرية:

- احسنت. فاسلوبك اللبق لعلاقتك بى، اعجبنى هل لى ان اضيف على ما تفضلت، بأن الأمر يعود اليك فقط فى توفير قوتى أو عدمه!

ذات يوم، وكان مضى اسبوع على وجودها فى لندن، رن جرس

الهاتف وكانت وحيدة فى الشقة، وفوجئت لدى سماعها صوت فرنسيس هيليغدون.

هتف قائلا:

- جولى!

- نعم... هل المتكلم... السيد هيليغدون؟

- فرنسيس «اوضح فى اقتضاب» كلمة سيد تبدو كأنك تعتبرينني عجوزا.

ابتسمت جولى:

- لم اقصد هذا اطلاقا.

بدا فرنسيس مستمتعا بالحديث:

- انى متأكد انك لم تفعلى. هل انت فى حال جيدة؟

- بخير والحمد لله» التفتت الى الوراء، وقد شعرت بقدوم هالبيرؤد الى الغرفة، واستدركت» مع من ترغب فى التحدث؟ روبرت غير موجود. انه فى مكتبه فى الشركة، وحماتى اصطحبت معها ايما فى نزهة الى حديقة الحيونات.

اوضح مؤكدا، اذ فوجئ بسؤالها:

- اردت التحدث اليك، جولى.

فرفعت كتفيها تسليما للأمر، امام هالبيرد.

قالت مرددة، ليفهم الخادم حقيقة الأمر:

- اردت التحدث الى؟

فأشار هذا برأسه تهذيبا ثم غادر الغرفة.

- نعم. اردت ان اسألك اذا كنت تقبلين دعوتى الى الغداء. هذا، اذا لم يكن هناك ما يشغلك؟

- الى الغداء؟ «رددت جولى وهى تستجمع حواسها. وبدا لها انها تردد كلماته ببغاويا وهى فى حال مرتبكة» لكن... لماذا؟

ضحك فرنسيس.

- هل على ان اقدم سببا لدعوتى اياك؟ الا تستطيعين تقبل رغبتى فى دعوتك الى الغداء، خالية من اى سبب؟

بدت جولى كمن غلب على امره، وقالت:

- حسنا. انى اتطلع الى ان اتناول الغداء معك. اين نلتقى؟

بدا فرنسيس منشرحا وقال مقترحا:

- سآتى الى عندك لاصطحبك. نحو الثانية عشرة؟

بلت جولى شفتيها:

- حسنا. سألقاك عند مدخل السلم.

- اتفقنا.

أقفل فرنسيس الخط. وأعادت جولى هى الأخرى سماعة الهاتف الى مكانها بيد مرتعشة. لقد قضى الأمر وقبلت دعوته. ولم تعد تستطيع، بالتالى، التراجع عن موافقتها، حتى ولو ارادت ذلك. اذ انها

لم تكن تدرى وسيلة للاتصال بفرنسيس، ولا هى كانت تعلم مكانه ورقم هاتفه. فضلا عن انه لم يعد هناك متسع من الوقت لذلك. وما هى الا ساعة أو اقل حتى يكون فى انتظارها عند اسفل السلم.

بعدما انطلق بسيارته سألته:

- لماذا لم تجئ زوجتك معك..؟

- لويز؟

- هل هى على معرفة بدعوتك لى اليوم؟

- لا لزوم لأن تعرف. فالأمر لا يخصها.

- بل على العكس «تنهدت جولى ثم اضافت» الم تدرك قصدى بعد؟ انها اذا علمت اننا كنا معا اليوم ولم تخبرها بالأمر سلفا... ماذا سيكون موقفها؟

- الحقيقة انى لا اكترث لهذا كثيرا.

دققت فيه جولى تستشف مغزى كلامه وسألته:

- لماذا؟

- هل على ان اوضح لها الأمر؟ الحقيقة ان علاقتى بلويز انتهت منذ سنوات. نعم، ما زلنا متزوجين، ونتصرف كأننا سعيدان. انما المسألة كلها لا تتعدى مصلحة باميلا، وأهلى. هذا كل ما فى الأمر

تنفست جولى بعمق، وقالت:

- فهمت الآن.

عند عودتها دفعت باب الصالون ودخلت. غير ان التى كانت فى الداخل تقتعد الكنبة لم تكن حماتها، بل امرأة شابة لم تكن التقتها قبلا. التفتت هذه نحوها متسائلة اذ اذ خطت داخل الغرفة. كان روبرت هناك ايضا، يقف متكدر الوجه الى جانب النافذة، ويداه خلف ظهره.

اغلقت جولى الباب ثم اسندت ظهرها اليه. وارتسم على جبينها المعقود سؤال اذ استعصت عليها هوية المرأة. ثم حدجت صهرها مستفسرة. فاقترب هذا متثاقلا، ليقف وراء الكنبة.

بادرها بصوت بارد:

- طاب يومك، جولى انى مسرور جدا ان اراك قد قررت العودة، اخيرا. الآنسة لوسن وانا نتظرك منذ ما يقارب الساعة.

اوضح قائلا وعيناه تجبهان بقوة احست كمعها انها طفلة اعتراها الخوف:

- الآنسة لوسن هى المربية التى اخترتها لترعى ايما. لقد اطلعتك قبلا على هذا الموضوع، ان كنت تذكرين.

- انى آسفة لتخلفى عن استقبالك، آنسة لوسن.

عقد روبرت يديه على صدره، فبدا بهذه الحركة اكبر حجما واكثر قوة، ما لم يسبق لجولى ان لاحظته فيه قبلا، خصوصا متى قورن مع فرنسيس الاقصر منه قامة، والاصغر بنية. ثم قال:

- ضرورى ان تتعرف الآنسة لوسن الى ايما اليوم. فغايتى من ترتيب هذا اللقاء هى الافساح فى المجال للآنسة لوسن ان تعطى رأيها

فى موضوع تدريسها.

- لم اكن ادرى اننا اتخذنا قرارا نهائيا فى هذه المسألة.

بدت جولى مهتاجة. الا انها، وقد ادركت ان القرار ليس فى يدها، التفتت الى الفتاة تسألها:

- هل ترغبين فى فنجان سای، آنسة لوسن؟

أومأت الفتاة موافقة:

- نعم، شكرا.

اسرعت جولى فى اتجاه الباب، بعد ان اشارت لها لتجلس ثانية. فى الممر الذى يصل الصالون بالمطبخ قطع عليها روبرت طريقها واعترضها مانعا اياها من التقدم. امسك بمعصمها ولوى ذراعها. ثم قال لها بنبرة مزمجرة متوحشة:

- اين كنت حتى هذه الساعة؟ اتعلمين انها تخطت الثالثة والنصف؟

رفعت اليه جولى نظرها والغضب يملؤها. كان الممر ضيقا لوجودهما معا ولم يحدث ان كانا على مثل هذه المسافة القريبة جدا، منذ عودتها من مالايا. كانت اصابعه الممسكة بمعصمها باردة قاسية، اما شرارات السخط التى كانت تنبعث من عينيه فلم تكن من البرودة فى شئ. وبدا على وشك ان ينفجر من الغضب. قالت توضح له:

- انت لست قيما على حياتى الخاصة، روبرت.

- لم اقل انى هكذا. فقط سألتك اين كنت؟

- خرجت اتغدى فى احد المطاعم.

- اللعنة عليك. اعلم هذا. لكن ما لا اعرفه هو من كان فى صحبتك الى الغداء؟»وشد على معصمها وهو يسألها» هل تريدين ان احطم عظم معصمك؟

- لن تتجرأ!

- أتراهنين!

وبدا فى عينه الملتهبتين انه جاد فى ما يقول.

احست جولى بانقباض فى حلقها، وقالت:

- انك متوحش! اذا كان لابد ان تعرف من هو الشخص الذى خرجت معه الى الغداء، فلا بأس فى ذلك. انه فرنسيس!

- فرنسيس؟ »ردد متسائلا»» فرنسيس من؟

- فرنسيس هيلينغدون! »بدا واضحا ان روبرت صعق لوقع الاسم هذا. غير انه لم يدعها تفلت من قبضته، واضاف يسألها غير مصدق» والد باميلا؟

- هو اياه »واضافت بلهجة ساخرة» دعنى وشأنى!

تجاهل روبرت طلبها، وعاد يسألها:

- ماذا تظنين انك تفعلين بخروجك معه الى الغداء؟ انت بالكاد تعرفينه.

اجابت والنبرة الساخرة تلازم صوتها:

- نعم، والآن توطدت معرفتى به.

- ايتها اللعينة. كيف اتفق ان خرجت معه؟

- لقد دعانى الى ذلك »اجابته، وابتسامة تتوزع قسمات وجهها. واضافت» ليس هناك اى سوء فى ما فعلت. اتصل بى هذا الصباح ودعانى الى الغداء. هذا كل ما حصل.

قال روبرت وعيناه لا تفارقان وجهها:

- لم اكن اتصور ان فرنسيس يمكن ان يقدم على امر كهذا.

- انه ليس كما تظن. ثم، ماذا تعنى بقولك: امرا كهذا. لقد قلت لك ان ليس فى الامر اية غاية اخرى.

كان روبرت لا يزال يحدق فيها بنظرات تربكها. ومن دون ان يعلق بكلمة، ابعدها من طريقه ليختفى داخل غرفته. ظلت واقفة لفترة حيث تركها. وكانت ترتعش من قمة رأسها حتى اخمص قدميها. ثم اقتربت من باب المطبخ واسندت يدها اليه، وقالت وفى صوتها عزم مصطنع:

- هالبيرد، هلا احضرت لنا ثلاثة فناجين شاى؟

راودتها فكرة الذهاب الى غرفة روبرت. الا انها فضلت ان تسلك طريق التعقل.

كانت الآنسة لوسن فى مكانها تنتظر، وفى يدها لفافة تبغ. وبدا التأفف عليها لحظة دخلت جولى الغرفة.

تنهدت جولى، وقالت:

- هذا صحيح، الى حد ما. اسمعى آنسة لوسن. من المفترض ان

تعرف الواحدة منا الاخرى جيدا، هذا اذا قيض لنا ان نعيش معا»وحاولت ان تبدو اكثر ودا فاردفت قائلة» ما اسمك الاول؟ ا ليس من المعقول ان اناديك آنسة لوسن طوال الوقت.

- اسمى ساندرا «اجابت الفتاة» الا انى افضل ان ينادى على باسمى كاملا فى حضور ايما، لأن رفع التكلف مع الأطفال لا يساعد فى انضباطهم، كما تعرفين.

حاولت جولى جاهدة ان تكتم ابتسامة بانت على شفتيها.

- لا اظنك فى حاجة الى ممارسة اصول الآداب مع طفلة فى الخامسة، آنسة... ساندرا. ثم، ان ايما ليست من ذلك النوع من الاطفال...

- اى نوع من الاطفال تقصدين، سيدة بمبرتون؟

- الذى يحتاج الى التأديب. هذا الى ان ايما طفلة مهذبة جدا، ولا استطيع ان اتصور انها قد تكون مصدر اى مشكلة كبيرة.

- انت والدتها، سيدة مبرتون. وبالتالى لا يمكنك أن تدركى المشكلات الطارئة التى تواجه المدرس فى مهنته.

اجابتها جولى وقد احست بالسخط رغما عنها:

- ما استطيع تصوره هو ان الأمر يعود بغالبيته الى قدرة المدرس وكفائته.

بدد دخول هالبيرد تلك اللحظة، التشنج الذى بدأ يسيطر على حوارهما. وانهمكتا بسكب الشاى وانتقاء بعض الفطائر. رشفت جولى

من فنجانها من دون ان تأكل شيئا، واذ انفت نفسها الطعام فى هذه الساعة من النهار.

اما ساندرا لوسن فأكلت مليا وبشهية ظاهرة.

همت هذه تسكب لنفسها فنجانا ثالثا من الشاى حين دخل روبرت، ولاحظت جولى ان روبرت ابدل ثيابه، وبدا متكاسلا على عكس ما كان منذ فترة قصيرة.

انفجرت اسارير ساندرا لرؤيته ثانية. وابتسمت له بحرارة، بينما تعابير وجهه على حالها لم تتغير، سوى رقة باهتة ظهرت فى عينيه وهو ينظر اليها.

فجأة تغير سلوكه، حين نظر الى جولى. وسألها بصوت فظ:

- حسنا؟ هل تم ترتيب كل شئ؟

رفعت جولى كتفيها بلا مبالاة، واجابت:

- ليس عندى ما اقوله فى هذا الشأن.

- جولى!

- حسنا. قم انت بالترتيبات التى تراها مناسبة»ثم نهضت من مكانها، وأضافت» يبدو ان لا قيمة اطلاقا لوجودى هنا.

بدا روبرت يتلظى غيظا لموقف جولى هذا. واذا بصوت الباب الخارجى يفتح، مما جعله يلتفت نحوه فجأة فى انفعال.

اطلت ايما من باب الصالون. صغيرة، سمراء، ينطق وجهها بالحنان وهى ترتدى معطفها الأحمر وسروالا اخضر. توقف نظرها عند

ساندرا لوسن. ونظرت الى والدتها مستفسرة.

انحنت جولى تضمها اليها، وقالت:

- اهلا حبيبتى، هل امضيت وقتا ممتعا؟

اجابت ايما بانفعال وحماسة:

- كان يوما رائعا، امى! «وأفلتت من والدتها تعدو الى حيث كان روبرت واقفا. اخذت يده بين راحتيها تشد عليها بقوة» لقد شاهدنا كل انواع الحيونات، عمى. وقد اشترت لى جدتى مرطبات وحلوى.

سألها روبرت بلهجة لا تخلو من البرودة:

- هل اشترت لك، فعلا، كل هذا؟

ثم اخذت ملامح وجهه تلين امام سحر وجه الطفلة. لم يكن هناك ادنى شك فى انه كان يكن لها عاطفة كبيرة. وتساءلت جولى عن سبب الألم الذى يتولد فيها كلما لاحظت ذلك.

اردفت ايما تسرد له فى شوق وفرح:

- شاهدنا ايضا قطيعا من الجياد. اتدرى ماذا قالت لى جدتى؟... لقد قالت ان فى امكانى ان اقتنى جوادا حالما ننتقل الى الريف. هل هذا صحيح؟ هل ستشترى لى جوادا، عمى؟

قالت جولى وقد احست بضيق مفاجئ:

- ايما.

كذلك فعلت لوسى فى لهجة حادة وهى تدخل وتنزع قفازيها:

- ليس فى الوقت الحاضر ، ايما.

ثم انتبهت لوسى الى وجود ساندرا لوسن فانفجرت اساريرها، وهتفت:

- ساندرا! عزيزتى ساندرا. لم اكن على علم بقدومك اليوم، والا لكنت بقيت فى المنزل لاستقبالك.

قال روبرت، موضحا، وهو يساعد ايما فى نزع معطفها:

- لم تكن الآنسة لوسن نفسها على علم بموعد قدومها. لقد اتصلت بها هذا الصباح «والتفت نحو الطفلة يقدم اليها الفتاة» الآنسة لوسن ستكون مربيتك. هل تعلمين ما معنى كلمة مربية؟

قطبت ايما حاجبيها، تجيبهك:

- هل تعنى انها مدبرة؟

- كلا. كلمة مدبرة تشبه فى معناها الراعية. بينما المربية هى اقرب الى معلمة منها الى مدبرة. انها تعطى دروسا، كما فى المدرسة.

عظم الاهتمام فى وجه ايما وسألته:

- ... فى المدرسة؟

انحنى روبرت يجلس القرفصاء قرب الطفلة. عيناه فى موازة عينيها. ثم اوضح لها قائلا:

- انا قلت، كما فى المدرسة ولم اقل فى المدرسة. ان الآنسة ستقطن معكما، انت ووالدتك، فى ثورب هليم.

تحولت نظرات الطفلة صوب والدتها، لتثبت من حقيقة الأمر، غير

مصدقة ما قاله عمها، وأحست جولى بقلبها ينفطر.

قالت الطفلة معترضة:

- لكن... لكن امى قالت لى انى استطيع الذهاب الى مدرسة مناسبة متى عدنا الى لندن!

اجابها روبرت وهو ينتصب ثانية:

- والدتك كانت مخطئة.

أبت ايما ان تقر بالواقع الجديد، وعادت تسأله وهى تشده بطرف سترته:

- لكن، لماذا؟ تعال، اقترب عمى.

واشارت اليه باصابعها فعاد ينحنى ثانية.

- ماذا تريدين الآن؟

اخرت ايما يديها على كتفيه، ثم ادخلت اصبعين فى اذنيه، وقالت:

- لماذا لا استطيع كغيرى الذهاب الى المدرسة؟

تنهد روبرت وقد أعيته اسئلتها المباشرة، فتدخلت لوسى وهى تتفحص كمية الشاى فى الابريق:

- كفى عن طرح اسئلتك السخيفة، فعمك يعرف جيدا ما هو الأصلح لك.

أمسكها روبرت من خصرها الصغير، وانتصب ثانية. فاذا هى بين ذراعيه. يداها حول عنقه تحكمان الطوق كمن يمتلك كنزا بين يديه.

تساءلت جولى وهى تراقبهما عما اذا كانت ايما ترى فى روبرت نظيرا لوالدها. اذ بدا انه يحنو عليها، والطفلة استجابت لحنانه.

ابدت لوسى انزعاجا لتصرف روبرت المدلل للطفلة، فتفت فيه قائلة:

- انزل الصبية عن ذراعيك، روبرت. فهى لم تعد طفلة صغيرة!

غير ان روبرت تجاهل كلام والدته. وأخذ يدغدغها. فخبأت هذه رأسها عند عنقه، تقهقه.

لم تعد جولى تستطيع تحمل رؤيتهما معا اكثر من ذلك. اذ كان المنظر هذا بالنسبة اليها تجربة مؤلمة جدا. فبادرت قائلة:

- استميحكم عذرا...

ولم تكمل كلامها اذ قاطعتها لوسى تسألها:

- هل تم التعارف بينكما، انت وساندرا؟

تنهدت جولى قبل ان تجيب:

- الى حد ما.

اوضحت لوسى:

- ساندرا صديقة قديمة لباميلا. كانتا معا فى مدرسة واحدة. ثم اختارت ساندرا التخصص بتعليم الاطفال مهنة لها بدلا من الزواج وابتسمت بلطف قبل ان تضيف» انا متأكدة من انك ستجدينها اهلا لمهنتها.

قالت جولى وهى تضغط بأصابعها على راحتيها:

- انا متأكدة من ذلك.

كان فى امكانها ان تدرك ان احساس تلك المرأة الشابة حيالها، من خلال سلوكها ونظراتها اليها، هو اكثر من مجرد استعداء غريزى. وبالتالى سيكون حضورها الدائم فى المنزل بمثابة مهمة مراقبتها. اذ ذاك شعرت جولى بحاجة الى البكاء. ماذا يعتقدون انها تكون؟ وماذا يخشون ان تقوم به؟

استعادت أنفاسها، وهى تنظر الى ايما بين ذراعى روبرت. وقالت:

- هيا بنا حبيبتى.. عليك الاغتسال قبل ان يحين موعد العشاء.

تشبثت ايما بروبرت، كما يفعل الاطفال حين لا يريدون القيام بعمل لا يرغبون فيه. وكادت جولى أن تفقد صبرها حيال تصرف ابنتها. قبل ان تفضحها حالها النفسية المتأزمة وتجعلها مدعاة للسخرية، جمعت قفازيها وحقيبة يدها وخرجت من الغرفة، وأغلقت الباب وراءها باحكام.

٤ ـ سهر الليالى

حدقت باميلا فى جولى هنية غير قصيرة، فبدا الارتباك على هذه الاخيرة. ثم قالت الفتاة:

- كنت ذات يوم مخطوبة لروبرت. اليس كذلك؟

اعادت جولى فنجان القهوة الى مكانه بيد مرتجفة. فأحدث احتكاكه بالصحن قرقعة لدى ملامسته الطاولة. وأجابت قائلة:

- نعم، هذا صحيح.

أطرقت باميلا قليلا قبل ان تقول:

- الا انك تزوجت اخاه؟

بدت باميلا كأنها تستجوبها.

أشارت جولى برأسها:

- نعم. مايكل.

- لكن، لماذا؟

بدا الاهتمام فى حاجبى باميلا المعقودين.

لم تكن جولى تدرى جوابا. فتنهدت. ثم قالت:

- ان الأمر واضح... الا تعتقدين ذلك؟ لقد وقعت فى غرام مايكل!

تمنت جولى لو تستطيع تغيير موضوع حديثهما. وبدا تبرمها واضحا فى حركات اصابعها. ثم قالت تسألها:

- هل لديك سيجارة؟

تناولت باميلا حقيبة يدها، تبحث عن علبة السجائر. ثم استطردت تقول بعد ان اشعلت كل منهما واحدة:

- هل تمانعين فى طرحى هذه الاسئلة عليك؟ الحقيقة انى اجد صعوبة فى البحث فى مواضيع من هذا النوع مع روبرت.

نفثت جولى دخان سيجارتها، ثم اجابت:

- كلا. لا بأس فى ان تسألينى ما تشاءين «وانتصب على قدميها وهى تتلوى ثم استطردت تقول» هل تعتقدين اننا سنمضى فصل شتاء قاسيا... لقد نسيت كيف يكون شكل الثلج.

نهضت باميلا بدورها، وقتربت تقف الى جانبها عند النافذة. ثم اجابت بصوت مهذب:

- لم اذكر لك شيئا من هذا القبيل الآن. الا انى، ولو متأخرة، اقدم اليك تعزيتى لوفاة زوجك. من المؤسف ان الفرصة لم تسنح لى لأتعرف اليه.

دققت فيها جولى بعينين زائغتين. وتساءلت عما يمكنها ان تجيب معلقة على ذلك. ثم تكلمت بصوت خافض:

- شكرا.

أشارت باميلا برأسها م وهى تضع يدها بلطف على كتف جولى. ثم قالت:

- على الآن ان اذهب. امى فى انتظارى، فضلا عن انى دعوت اصدقاء الى الغداء عندى، وترددت قليلا قبل ان تضيف» انى انتظر زيارتك لنا، بعد ان تستقر بك الحال هنا.

كان روبرت لا يزال فى الولايات المتحدة، بعد طول زيارته ليستطيع الانتقال الى سان فرانسيسكو. ولم تكن عودته منتظرة قبل اسبوع. وكان طبيعيا الا يكون هناك اتصال مباشر بينه وبين جولى. الا ان لوسى كانت تتصل كل يوم تقريبا وتطلع جولى على كل المستجدات.

اتصل بها فرنسيس هاتفيا، يوم الخميس. رفعت سماعة الهاتف بلا اهتمام، وقد تصورت ان المتكلم سيكون زوجة عمها. وفوجئت حين تناهى صوته الى مسمعها.

- مرحبا، جولى «وتراءت لها ابتسامته الساخرة» أو تظنين اننى نسيتك كليا؟

رفعت كتفيها لا تدرى ما تجيب، ثم قالت مازحة:

- لا تقل لى انك عدلت عن رأيك فى دعوتى ثانية.

ضحك فرنسيس وأجاب:

- من الصعب جدا ان افعل هذا، اخبرينى، كيف تجدين حياتك الجديدة فى الريف؟

جلست على ذراع المقعد الذى بقربها، ثم اجابت:

- لا بأس بها. اننا نتكيف جيدا وبسرعة مع واقعنا الجديد، فضلا عن ان ايما تعشق الحرية المتوفرة لها هنا.

اسمعى، جولى. لم اتصل بك لأقضى نصف ساعة فى الحديث معك على الهاتف. اريد ان اراك. متى يكون ذلك؟

ترددت جولى فى أول الأمر، ثم قالت:

- لست ادرى، فهناك ايما...

- احضرى ايما معك... ما رأيك فى ان احضر الى الغداء فى منزلك، بدعوة منك؟

- لا مانع عندى.

علق فرنسيس وقد لاحظ ترددها:

- يخيل الى انك لست متحمسة للفكرة. هل هذا يعنى انك لا تحبذين مجيئى؟

- عفوك فرنسيس. بالطبع يمكنك ان تتغدى معنا. سأحضر لك فى المناسبة طبقا خاصا!

- يبدو هذا مشجعا. ما هو نوعه؟

- انتظر تر «ورمقت ساعة يدها، وأضافت» انها الحادية عشرة. اين انت الآن؟

- فى المنزل.

إندهشت لجوابه وهى تردد:

- فى المنزل!

- لا تفزعى، انى فى مكتبى،وما من احد يستطع سماع حديثنا.

- لكنك تبدو من صوتك كمن يسترق الحديث؟

- هل ابدو كذلك حقا؟ انى اعتذر عن ذلك. حسنا. انا ذاهب الآن لأخبر لويز وباميلا، لا شك فى انهما تودان المجئ معى.

- فرنسيس!

- هل تريدينهما معى الى الغداء؟

تنهدت جولى. فهى ارادت ان تلتقى فرنسيس ثانية. اذ هو الوحيد الذى كان يعاملها معاملة جيدة. فضلا عن انها كانت فى حاجة الى من تستطيع التحدث اليه.

- اذن؟

- حسبك ان تتفضل وحدك فى المجئ.

وأقفلت الهاتف.

ما ان انتهت من ارتداء ثوبها وتصفيف شعرها، حتى كانت سيارته تتوقف امام باب المنزل الرئيسى. اطلت ايما قادمة من المطبخ. وسألت والدتها:

- هل هذا العم فرنسيس؟

كانت جولى اعلمت السيدة هادسون فى حضور ايما بقدوم ضيف الى الغداء. وبدت هذه فرحة لهذا النبأ.

- نعم، حبيبتى. انه العم فرنسيس.

ذهبت تفتح له الباب.

بدا فرنسيس فتيا، وهو فى بنطال بيج وقميص بنى اللون. ونظرت له جولى بنظرة دافئة.

بادرهما محييا وهو يداعب ايما تحت ذقنها. فضحكت. ثم توجه الى جولى هامسا:

- لا تنظرى الى هكذا، والا تمنيت لو لم اكن ذلك الانسان الطيب الذى تتصورين.

ابتسمت جولى لكلماته المداعبة، وقالت:

- هيا بنا الى الداخل، لا اعتقد ان المكان غريب عنك.

بدا لها فرنسيس انسانا مختلفا عن اى رجل عرفته من قبل. تقدمتهما ايما الى غرفة الجلوس. وبدأ يتأمل الغرفة، ثم قال:

- نعم. اعرف المكان. انه جميل، اليس كذلك؟ علما ان ابنتى اختارت ديكوره!

ضحكت جولى، قائلة:

- اترغب فى فنجان قهوة؟

- نعم. شكرا.

وجلس على الكنبة وايما الى جانبه.

بادرته الطفلة بسؤال خلا من اى تحفظ:

- اين هى العمة باميلا؟

ابتسم فرنسيس راضيا عن سؤالها وأجابها:

- انها فى المنزل.

- الم تشأ ان تأتى معك؟

- اعتقد انها ترغب فى ذلك، غير انى لم اسألها «واضاف مبتسما اذ لمح خيبة فى وجهها» كانت كلما اتت لتراك تتحاشى ان تدعونى للمجئ معها. فلماذا اسألها انا اذا كانت لا تفعل الشئ نفسه؟

بدت ايما راضية لتبريره، وسألته:

- هل قدمت حقا، لتزورنى فقط؟

- ولأزور والدتك ايضا «اجابها، وتناول فنجانه يشرب منه قليلا ثم اوضح قائلا» الحقيقة انى حين اجئ لزيارتك ادعى انى جئت لأزور والدتك ايضا، فلا ابدو هكذا انانيا فى تصرفى «وغمز لها» اعتقد انك تدركين ما اعنى.

- ضج المكان من ضحكة ايما العالية. ثم اقتربت جولى تجلس بالقرب منهما، وقالت تسأله:

- كيف اتفق، فرنسيس، انك لم تنجب سوى باميلا؟

ثم ادركت بعد فوات الأوان اى سؤال وقح، فضولى هذا الذى طرحته.

لكن فرنسيس بدا غير ممانع، فأجابها:

- لم يكن ذلك مستطاعا.

لم تكن السيدة هادسون قابلت فرنسيس من قبل. وأخذت ترمق جولى بنظرة مبهمة. ثم قالت:

- يبدو رجلا لطيفا. اليس كذلك؟ انه صبور جدا.

- نعم. الا تدرين انه والد الآنسة هيلينغدون؟

- لقد استنتجت ذلك.

- اظنك استنتجت ايضا انه يجب الا يكون هنا؟

- لماذا؟

- لكن الأمر واضحا تماما... انه رجل متزوج.

فى هذه اللحظة، تناولت السيدة هادسون الأطباق لتغسلها، ثم قالت:

- لكن لا علاقة بينكما من اى نوع؟

- كيف تدعين هذا، وانت لا تعرفين واقع الحال؟

- اعرف ما فيه الكفاية لأدرك اذا كانت هناك علاقة حب بين رجل وامرأة.

شهقت جولى فاغرة فاها، لكن الخادمة تجاهلت رد فعلها واستطردت تقول:

- هل سيبقى السيد هيلينغدون الى حين العشاء؟

- لا اعتقد ذلك.

- كان يجب الا أتكلم بكملة فى ما لا يعنينى.

رفعت جولى كتفيها غير مقتنعة بما قالته السيدة هاتسون، وأجابتها:

- انا مسرورة اخيرا لأنك فعلت... فليس هناك احد سواك

استطيع القول اليه بما يحدث فى داخلى.

- حسنا. لا يداخلنك قلق. فانا اعرف متى اكتم خبرا.

التفتت اليها جولى والاستنكار ظهر عليها:

- هذا يبدو رهيبا. اتدركين ذلك؟«وضحكت» اوه، سيدة هادسون. انت على حق، انه رجل لطيف.

ما ان عاد فرنسيس وايما الى الداخل، حتى احضرت السيدة هادسون برادا مليئا بالشاى. ارتمى فرنسيس متبعا فى احد المقاعد. وقال لايما شاكيا:

- لقد ارهقتنى!

بينما هرعت هى تدير جهاز التلفزيون وتتخذ لنفسها مكانا قريبا قبالة الجهاز.

ابتسمت ايما وقالت:

- انه وقت برنامج «العاب المدرسة». لا اظنك حقا تعبا، عمى فرنسيس. ام انت كذلك بالفعل؟

- لا اظنك جادة فى سؤالك. وهل تتصورين انى اقضى فترة الظهيرة كل يوم اركض فى الحديقة؟

- هذا نافع لك.

علقت ايما. وهى انما كانت تردد ما تسمعه بين حين وآخر عن فائدة العدو ممن هم اكبر منها سنا.

- يعجبنى ان تفكرى بهذا الاسلوب «قال فرنسيس. ثم التفت الى

جولى التى اقتربت منه تقدم اليه الشاى، وسألها، ارى انى استحق فنجانا من الشاى.

- بالتأكيد «ابتسمت له وسألته» هل انت باق الى العشاء؟

حلت ملامح الجدية على وجهه محل امارات التفكه، وأجاب:

- فى الواقع، ليس هناك شئ آخر افضل عندى من البقاء معك. الا اننى سبق ودعوت لويز الى تناول العشاء، فى احد النوادى. اذ نحن معتادان فى كل خميس على ذلك.

خاب ظن جولى لجوابه، فلمحت باشارت من رأسها، وعلقت:

- لا بأس.

عاد فرنسيس يتأمل ايما التى كانت مستغرقة فى تتبع الحلقة التى يعرضها التلفزيون. ثم تطاول نحو جولى وأخذ يدها بين راحته، وقال:

- اوه، جولى! اطلبى منى ان ابقى. وسأفعل ذلك راضيا.

سحبت يدها بحياء، وغيرت الموضوع، وقد تسارعت انفاسها:

- كم تريد سكرا مع الشاى؟

- حبتين، من فضلك «وتنهد. ثم عاد يسألها» هل تقبلين دعوتى الى العشاء فى خلال هذا الاسبوع، بدت مترددة، فأردف قائلا» ما رأيك فى ان نخرج معا مساء السبت؟ انها امسية جميلة. اولا ترغبين فى امسية كهذه ان ترتدى اجمل ثياب لديك وتنزلى الى المدينة؟ انا متأكد ان السيدة هادسون يمكنها ان تهتم بايما.

- لا شك فى انها اهل لذلك يبدو الأمر... رائعا.

- اعدك بأن سهرتنا ستكون كذلك بالفعل.

- حسنا. سأسأل السيدة هادسون قبل خروجها اذا كانت تقبل ان تهتم بالطفلة.

- حسنا «وتناول فرنسيس فنجانه وأضاف» صدقينى. ان الأيام المقبلة التى تفصلنا عن موعدنا، ستجرجر نفسها ببطء.

بعد ان ذهب فرنسيس، واتفقت مع السيدة هادسون، احست جولى يندم كبير. ثم وضعت ايما فى سريرها وذهبت الى المطبخ بدل ان تعود الى غرفة الجلوس كما عادتها ان تفعل كل امسية. كانت السيدة هادسون فى هذه الأثناء تغسل الأطباق. وعندما دخلت عليها جولى استقبلتها الخادمة بابتسامة عريضة.

بادرت تسأل سيدتها:

- هل ترغبين فى شئ، سيدة بمبرتون؟

- جئت أتحدث معك قليلا.

اخذت جولى قماشة تنشف بها الأطباق النظيفة على مسطح المجلى.

- لا لزوم لأن تفعلى هذا «هتفت الخادمة» يمكننا ان نتبادل اطراف الحديث. وانا اتكفل بالأطباق.

- بل ارغب فى مساعدتك «ثم استطردت تقول» لقد تعبت العيش وحيدة.

سألتها الخادمة مستفسرة:

- هل ذهبت ايما الى سريرها؟

- اوه، نعم، كانت جد مرهقة بعد يوم حافل.

ضحكت السيدة هادسون وقالت:

- كذلك كانت حال السيد هيلينغدون. لا عجب.

ابتسمت جولى قائلة:

- انه يعاملها بمحبة. اليس كذلك؟

- نعم. سيدتى. يبدو اهلا لأن يكون لديه اكثر من ولد فى عمرها.

- لكن ابنته باميلا اصبحت شابة الآن؟

- نعم.

بدت لهجة الخادمة معبرة، فلم تستطع جولى ان تمنع نفسها من سؤالها، متناسية انها تبحث فى شؤون ضيوفها مع خادمتها:

- الا تحبينها؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه السيدة هادسون. وأجابت بدبلوماسية:

- لنقل انها ليست نجمتى المفضلة.

- ارى ما تقصدين.

- لكن، لابد أن اكون مخطئة. اذ ان السيد روبرت يحبها كثيرا.

- انت تعرفين... روبرت؟

- باركك الله، طبعا اعرفه. كنت اعمل سابقا لوالدته، يوم كان لا يزال هو واخوه مايكل صبيين صغيرين.

ظهر التعجب فى عينى جولى، وسألتها:

- احقا ما تقولين؟ بالله عليك، اكملى. اخبرينى المزيد.

- عن مايكل، سيدتى؟

- بل عن كليهما.

وإحمر خداها.

رفعت الخادمة كتفيها تتذكر:

- كانا طفلين مكتنزين، لا يفصل بينهما سوى سنة واحدة.

- لاشك انك كنت، يومئذ صغيرة انت ايضا؟

- كلا. كنت فى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة.

- عجبا، كم يبدو هذا العالم صغيرا.

أشارت السيدة هادسون برأسها تؤيد رأيها، وأردفت:

- عندما اشترى السيد روبرت المنزل هذا، كان يبحث عن خادمة لتعمل فيه. فأتى فى الحال الى يسألنى ان كنت ارغب فى ذلك.

جلست جولى على كرسى، ثم قالت تسألها:

- هل كنت تصادفينهما خلال السنوات الأخيرة؟

- كانا يأتيان لزيارتى، بين الحين وآخر، وكنت قد تزوجت «أصبحت نظرات الخادمة المتأملة فى اللاشئ مليئة بالذكريات» كانا ولدين لطيفين.

- فعلا... هل عرفت انى كنت مخطوبة لروبرت؟

- نعم. عرفت هذا. بل اكثر. ذلك انى كنت تلقيت بطاقة دعوة الى

www.elromancia.com

حفلة زواجكما.

احمرت وجنتا جولى ثانية. تنهدت السيدة هادسون قبل ان تضيف:

- لم اكن لأتصور ابدا ان زواجكما سيلغى. وان يسافر السيد روبرت الى فنزويلا... الى ما هنالك مما حدث يومها.

وقفت جولى من كرسيها وعلقت قائلة:

- تلك كانت ارادته.

- ان يذهب الى فنزويلا؟

- نعم. وان يلغى حفلة الزواج ايضا.

- لكنه، على ما اخبرت به يومذاك سيدتى، اضطر الى السفر، ذلك ان حادثا وقع هناك ادى الى مقتل احد الرجال. اليس كذلك؟

- نعم. الحادث الذى تذكرين وقع فعلا فى مشروع وادى غوابا.

- بالضبط! وكان على السيد روبرت ان يذهب ليحل محل الرجل الذى مات ضحية الحادثة.

ردت جولى قائلة:

- لم يكن مضطرا الى الذهاب.

ظهر الارتباك فى حركات السيدة هادسون لوجهة نظر جولى:

- لا اعتقد انى من هذا الرأى، سيدتى. فارسال رجل آخر غيره كان لا يمكن الا يكون عملا صحيحا. الا تعتقدين ذلك؟ هذا عدا ان السيد روبرت كان، عمليا، الشخص الوحيد المؤهل للحلول محل الرجل

الذى مات.

رفعت جولى كتفيها لا تبالى لحقيقة كلام الخادمة، وقالت:

- فى اى حال، كان ذلك كله منذ زمن بعيد.

وافقت السيدة هادسون، باحناءة من رأسها:

- نعم. كما لا يمكن ان تكونى قد احببته. ذلك لأنك تزوجت السيد مايكل اثر رحيله، وسافرتما قبل عودة السيد روبرت الى لندن.

فى هذه اللحظة توجهت جولى نحو الباب، وقال بصوت لا يخلو من انفعال:

- سافر روبرت قبل موعد زواجنا باسبوع واحد. هل كان زوجك ليفعل ذلك لو تهيأت له الظروف نفسها؟

- هذا سؤال تصعب الاجابة عنه، سيدتى... هل افهم من كلامك ان سبب خلافكما حينذاك، كانت تلك الرحلة؟

كادت جولى ان تفقد رباطة جأشها وترد على مغالاة السيدة هادسون لواقع الأمر، الا انها تمالكت نفسها، وقالت:

- انا لم اقل هذا.

- صحيح. فى اى حال، انت ادرى بامورك الخاصة. وانا متأكدة من انك ما كنت لتتزوجى السيد مايكل، كما سبق وذكرت، لو لم يكن لديك بعض الشكوك حيال علاقتك بروبرت.

فتحت جولى باب المطبخ. وقالت قبل ان تخرج:

- كلا. فى اى حال، من الأفضل الا نذهب بعيدا فى بحث هذا الموضوع. يمكنك الانتهاء من عملك. واذا ما احتجت الى شئ فى ما

بعد، فسأهتم بالأمر بنفسى.

- حسنا، سيدتى، شكرا. «نزعت السيدة هادسون مريلة المطبخ بعناية ثم وضعتها فى احد الأدراج. وقالت»:

- سأغيب لمدة ساعة فى زيارة للسيدة فيلدينغ فى القرية.

- لا بأس.

تركت جولى الباب ينغلق خلفها وعادت الى الصالون، وعندما دقت الساعة التاسة، حتى شعرت فجأة بالملل وهى تشاهد التلفزيون، فعادت الى غرفتها لتذهب الى فراشها. لم تكن دامعة، لكن قنوطا ثقيلا كانت يكتنف احاسيسها.

صباح يوم السبت، وصلت ساندرا لوسن فجأة، من دون أى إخطار سابق.

فتحت لها السيدة هادسون تستقبلها، كذلك اتت جولى الى الرواق تلتقيها. وبادرت ساندرا قائلة، وهى تضع حقيبتها ارضا:

- ارجو الا يكون لقدومى المفاجئ اى مانع لديك، سيدة بمبرتون. الحقيقة ان مالكة الشقة التى كنت اشغلها اخطرتنى بأنها اجرت الشقة لشخص آخر اعتبارا من اليوم. لذا رأيت نفسى مضطرة ان اجئ الى هنا، بدل ان أصرف دراهمى فى قضاء ليلة فى فندق. على كل، يوم اكثر أو يوم اقل فى التدريس، ليس على البال.

أصبحت جولى مرتبكة لحضور ساندرا على حين غرة، وحاولت ان تقول شيئا:

- انا... حسنا... سيدة هادسون؟

اجابت الخادمة تطمئن سيدتها:

- حجرة الآنسة جاهزة سيدتى. ليس هناك اى اشكال.

نظرت ساندرا الى السيدة هادسون بنظرة سيئة، وبادرتها:

- لابد انك السيدة هادسون. لقد اخبرتنى عنك الآنسة هيلينغدون.

أحنت السيدة هادسون رأسها.

- نعم، انا هى، آنستى.

عقدت جولى اصابعها وقالت:

- ليس هناك اى ازعاج فى قدومك قبل التاريخ المحدد بيوم واحد... هلا أخذت الآنسة لوسن، سيدة هادسون، الى غرفتها؟ ثم احضرى لنا بعض القهوة.

- حسنا، سيدتى.

وتساءلت جولى، كيف يعقل ان تخرج الليلة وتترك ساندرا وحيدة فى اول يوم لوصولها؟ وماذا عن اتفاقها السابق مع السيدة هادسون فى شأن ايما؟ قد تقرر ساندرا، مثلا، أن تأخذ المبادرة كونها المسؤولة عن ايما، ايما يمكن ان تهتم كثيرا بمن سيرعى امرها فى غياب والدتها، الا انها كانت تشعر بأن ابنتها لم ترتح لساندرا لوسن.

بدا لها الوضع متعب ومصدر قلق. وتمنت لو تستطع ان تفضى الى احد بما يحدث فى داخلها.

رفعت جولى سماعة الهاتف واتصلت بشقة روبرت. رد هالبيرد، فسألته:

- هل السيدة بمبرتون موجودة؟

- آسف سيدتى، انها غير موجودة. خرجت هذا الصباح. هل تريدين ان اخبرها، لدى عودتها، انك اردت التكلم اليها؟

ترددت جولى لحظة، ثم قالت:

- كلا. ليس ضروريا هالبيرد. شكرا.

- كما تريدين سيدتى. فى كل حال، سررت لسماع صوتك ثانية. هل استقريتما كما يجب؟

- الى حد ما «وختمت مكالمتها» طاب يومك، هالبيرد.

بقيت تنظر فى سماعة الهاتف. بدا واضحا ان روبرت لم يعد بعد من الولايات المتحدة، والا لكان هالبيرد اخبرها بذلك. تناولت دليل الهاتف وأخذت تبحث عن رقم آل هيلينغدون. وجدت الرقم ونظرت لحظة وهى تتسائل، هل ستتجرأ على الاتصال بفرنسيس؟ وماذا اذا ردت باميلا اولا، أو لويز؟ ما هو التبرير الذى ستقدمه سببا لاتصالها؟ ثم فكرت ان تتصل به فى مكتبه. قد يكون هناك. وإذا كان الأمر سلبا، فيمكنها ان تستعلم عن مكانه وتتصل به مباشرة.

اجابتها عاملة الهاتف فى شركة هيلينغدون:

- السيد هيلينغدون موجود، الا انه لا يتلقى اى مكالمة، اذ هو يرئس اجتماعا لمجلس الادارة. هل ترغبين فى ان تتركى له رسالة؟

- تنهدت جولى مترددة ثم سألتها:

- هل فى الامكان ان تبلغيه انى على الخط وعما اذا كان مناسبا

ان اتكلم معه؟

ترددت عاملة الهاتف، وبدا انها لم تكن متأكدة من هوية جولى، على رغم ان هذه ذكرت لها اسمها. ثم قالت:

- دقيقة واحدة، آنسة.

وحولت الخط.

مرت ثوان قبل ان يأتيها الجواب. كان المتكلم هذه المرة، فرنسيس، بصوته الهادئ:

- جولى؟

- فرنسيس! «هتفت وقد احست بارتياح» عجبا. ان الذى يحاول الاتصال بك كمن يتصل بالقصر الملكى!

اطلق فرنسيس ضحكة خفيفة عبر الهاتف، وقال بصوت هادئ:

- كنت فى اجتماع ادارى.

- اعرف هذا، انى آسفة لازعاجك.

اجابها مطمئنا:

- لا تكونى سخيفة. ماذا فى الأمر؟

نظرت جولى ابنتها بنظرة مستسلمة ثم قالت:

- حسنا. ليس فى استطاعتى الافصاح الآن. بالمناسبة، وددت ان اخبرك ان الآنسة لوسن هنا. لقد وصلت اليوم.

لم يبد فى صوت فرنسيس انه أعطى الخبر اهمية، وقال متسائلا:

- وما الغرابة فى ذلك؟

- اليس هذا واضحا بما فيه الكفاية؟

- تقصدين موضوع سهرتنا الليلة، طبعا.

- بالضبط «وتنهدت قبل ان تضيف» ما العمل والحال هذه، فرنسيس؟

اجاب وقد اتسمت نبرته بالحزم:

- سنخرج، طبعا، الى العشاء كما اتفقنا.

- لكن كيف الطريق الى ذالك، وهى تعرفك؟

- وماذا ان هى عرفتنى؟

- ارجوك، فرنسيس!

- اسمعى جولى. لقد اوضحت لك ان... معرفة الناس بعلاقتنا لا تهمنى. وكل ما اهتم له هو انت فقط «وتنهد» اذا كان سبب اتصالك بى، هو رغبتك فى الغاء موعدنا الليلة لوجود تلك المرأة... فهذه مسألة اخرى.

ضغطت جولى بيديها الاثنين على سماعة الهاتف:

- اوه فرنسيس!

- اسمعى. اذا كان ذلك يجعلك اكثر اطمئنانا، فسأقترح على باميلا ان تزورك بعد ظهر اليوم. وهى حين ستجد ساندرا هناك، فمن المؤكد انها ستدعوها الى منزلنا، خصوصا ان روبرت لم يعد بعد. كيف يبدو هذا المخرج؟

تنفست جولى الصعداء:

- هذا رائع «ثم شعرت بساندرا لوسن تدخل الغرفة فيما هى مسترسلة فقالت تنهى المخابرة» اسمع، يجب... ان انهى الآن الحديث.

ضحك فرنسيس قائلا:

- فهمت قصدك. اى ورطة هذه التى انت فيها.

ضحكت جولى بدورها ضحكة ضمنتها ما لديها من رقة ولطف. وأقفلت الهاتف. ثم التفتت الى الفتاة تسألها:

- هل كل شئ على ما يرام؟

جلست ساندرا على الكنبة من دون استئذان، وأجابت:

- نعم شكرا. «ثم التفتت نحو ايما تحييها» مرحبا، ايما! اود ان اتعرف اليك جيدا.

اجابت ايما والخوف فى عينيها:

- هل ستعيشين معنا؟

- نعم. «وبدت ساندرا مرتاحة كأنها فى منزلها، وأضافت» عليك ان ترينى فى ما بعد، المكان المعد لدراستك. هل أعدت لنا والدتك غرفة مستقلة، نستطيع ان نعمل فيها بهدوء؟

تنحنحت جولى قليلا، ثم علقت قائلة:

- فى الواقع ليست كل الغرف مفروشة بعد. الصالون وغرفة الطعام مفروشتان، كذلك هناك ثلاث غرف جاهزة فى الطبقة العلوية. لذا ارتأى ان يكتفى حاضرا بغرفة الجلوس أو غرفة الطعام.

عقدت ساندرا حاجبيها.

- اذن، فلتكن غرفة الطعام. ذلك اننا لا نستطيع ان نعمل فى مكان حيث لا توجد طاولة. وايما ستحتاج الى مسطح مقوى حتى تستطيع الكتابة.

سارعت جولى قائلة:

- فى اى حال، آمل ان انزل الى البلدة فى خلال هذا الاسبوع، أو الذى يليه، لاختار بعض ما نحتاج اليه من فرش وأدوات منزلية. الا انى لن اشترى فى الوقت الحاضر طاولة خاصة بالدراسة، ذلك ان ايما تحتاج الى بعض الوقت لتتعود فكرة الجلوس عليها. ربما يكون من الأفضل ان تركزى على بعض الأمور الاكثر ملائمة لطفلة فى سنها، حتى يتسنى لى لن اتدبر اختيار الأثاث الملائم كما يجب.

علقت ساندرا بطريقة سيئة:

- لكن، مضى اسبوع على انتقالكما الى هنا. اليس كذلك؟ وهو وقت كاف ليتدبر المرء شراء ما يحتاج اليه.

- نعم «اجابت جولى وهى ترفع نظرها لتستقبل بارتياح قدوم السيدة هادسون تحمل صنية القهوة» شكرا جزيلا، سيدة هادسون، ضعيها على الطاولة.

- حسنا، سيدتى «والتفتت الخادمة الى ايما تقول لها» هل تودين المجئ معى الى المطبخ وتساعدينني فى صنع بعض الحلوى؟

- اووه، نعم. هل استطيع فعلا مساعدتك؟

قفزت ايما منتصبة تهم بمرافقة الخادمة. فاذا بساندرا توقف اندفاعها، ثم قالت توجه كلامها الى السيدة هادسون وقد بدا عليها الانفعال:

- مهلك سيدة هادسون. نكاد ايما وانا لا نعرف الواحدة منا الأخرى.

نظرت جولى بنظرة حادة وقالت:

- اعتقد ان لدى ايما متسعا من الوقت لتتعرف اليك جيدا «واستطردت توجه كلامها الى ايما» يمكنك حبيبتى الذهاب مع السيدة هادسون.

انسلت ايما الى خارج الغرفة، فيما الخادمة وساندرا تحدقان فى جولى. ثم قالت المربية بصوت لا يخلو من الحدة:

- كيف استطيع ان اضبط سلوك الطفلة بينما انت تقفين عقبة فى وجه تعليماتى لها.

هزت جولى رأسها، وهى تحاول ان تتمالك غيظها، وأجابت:

- ان سماحى لايما بمساعدة السيدة هادسون، لا يعنى نقضا لتوجهاتك. هذا، اضافة الى انه لم يمض على وجودك هنا وقت طويل، فلا تعاملى الطفلة بقسوة.

على اثر هذا الحوار الذى كان اقرب الى المشادة استؤنف الحديث بينهما متكلفا. وبدا واضحا ان ساندرا كانت لا تزال تعانى احساسا بالذنب، وأخذت جولى تتطلع حزينة الى سنين مقبلة فى رفقة هذه المرأة. كيف ستتمكن من تحمل هذا الذنب؟ والى متى؟

وفى فرنسيس بتعهده لها كما كان وعدها، ووصلت باميلا بعد ظهر ذلك اليوم. كانت فرحتها عظيمة لرؤية ساندرا. تركتهما جولى ودخلت الى المطبخ تنشد مؤانسة السيدة هادسون.

كانت ايما لا تزال تلعب فى الحديقة. اخذت جولى تراقبها بعينين حالمتين، لفترة قصيرة، قطعها صوت السيدة هادسون وهى تقول:

- ماذا عن الليلة، سيدتى؟ هل ما زلت تريدين الخروج؟

- نعم «اجابتها جولى والتفتت نحوها وأضافت» تحدثت مع فرنسيس هاتفيا هذا الصباح وقد اقترح ارسال باميلا الى هنا. لأنه يعتقد ان ابنته يمكن ان تدعو ساندرا الى تناول العشاء فى منزله، ذلك انهما صديقتان حميمتان منذ زمن، كما تعرفين، هذا فضلا عن ان روبرت غائب.

لم تستطع السيدة هادسون ان تكتم ضحكتها، ثم علقت قائلة:

- انها فكرة جهنمية!

- انها حقا كذلك. ثم، انى لم اشأ ان اترك ايما فى عهدتها وهى الليلة الأولى لها فى منزلنا، هذا طبعا، عدا اعتبارات اخرى.

تنهدت السيدة هادسون تقول:

- ارى ما ترمين اليه سيدتى. لكن، اذا كنت لا تركنين اليها، لم قبلت بها مربية لطفلتك؟

- تلك كانت رغبة روبرت، ظاهرا. ولم يكن لى آنذاك أى خيار آخر فهو المسؤول قانونا عن تربية ايما وتنشئتها.

- ليس هناك من هو افضل منه للاعتناء بها.

احمرت وجنتا جولى لملاحظة الخادمة، والتفتت نحوها تسألها:

- ماذا تقصدين بذلك؟

- لا شئ سيدتى، سوى ان السيد روبرت اهل لأن يرعى الطفلة.

- لكنى انا امها!

- اعرف هذا. غير ان الطفل فى حاجة كذلك الى رجل عطوف.

تنهدت جولى، وقالت:

- أتفهم وجهة نظرك.

وعاد الى وجهها استقرار لونه.

- ماذا ظننت انى قصدت بقولى، سيدتى بمبرتون؟

تظاهرت هذه باللامبالاة:

- لست ادرى «وتوجهت نحو الباب، وقالت» انا ذاهبة لحجرتى. اذا اردتنى لشئ، تعرفين اين تجدينني.

صح ما كان متوقعا. اذ دعت باميلا ساندرا الى العشاء مع اهلها. وشعرت جولى بالغبطة تغمرها. الا ان غبطتها سرعان ما تحولت قلقا وارتباكا، حين اقترحت عليها باملا الذهاب معهما، وقالت:

- لم لا تأتين معنا. جولى؟ والدى سيخرج الليلة تلبية لدعوة. هكذا نبقى نحن الأربع فقط، بحيث يمكننا ان نمضى سهرتنا فى احاديث حميمية دافئة.

استبعدت جولى اى حديث بينهن ان يتصف بالحميمية الا انها فكرت مليا فى الأمر قبل ان تجيب. ثم قالت تعتذر:

- فى الواقع، لا استطيع قبول دعوتك، شاكرة لك هذا، ذلك ان احدى صديقاتى اتصلت بى هذا الصباح. واتفقنا على ان تتصل ثانية

هذا المساء. لا اظننى سأستطيع تلبية دعوتك، اذ هى قد تتصل فلا تجدنى. الا تعتقدين ذلك؟

بدت باميلا مصدقة لما قالته جولى. فأجابت:

- فعلا، الأفضل ان تنتظرى مكالمتها. «وأضافت وهى تفرك راحتيها» هل قلت انها صديقة قديمة؟

سارعت جولى تجيب:

- نعم. احداهن... كنت اعمل واياها.

- فى شركة بمبرتون؟

- نعم.

- هل اعرفها؟

- لا اعتقد ذلك «احست جولى بكره حيال استجواب باميلا» لقد تركت العمل منذ مدة ليست قصيرة. اسمها... فاليرى سيمث.

- كلا. لا اظن انى اعرف واحدة بهذا الاسم «هزت باميلا رأسها. وأضافت» حسنا. ساندرا، علينا اذن بالذهاب.

وقفت ساندرا من مكانها وهى تومئ ايجابا، وسألت جولى:

- هل هناك مانع فى ان اذهب، سيدة بمبرتون؟

- كلا، اطلاقا.

كل ما تمنته جولى تلك اللحظة ان تخرجا. فقد بدأ وجودهما يوتر اعصابها.

حين سمعت صوت محرك سيارة باميلا وهى تبتعد، شعرت براحة قصوى. وعادت الى الصالون مرهقة وما ان جلست فى احد المقاعد، حتى أسرعت ايما ايها واعتلت حضنها، فضمتها بيدين محبتين الى صدرها المليئ حنانا.

بادرت الطفلة تقول وقد غلبت عليها فترة من الكآبة:

- اتمنى لو تغادرنا الآنسة لوسن. الا يساورك امى، احساس بهذا انت ايضا؟

تنهدت جولى، ترد على ابنتها:

- انها مربية ليس الا، ايما. لن يبدل وجودها معنا اى شئ.

- بل سيكون على ان ادرس على يدها.

علقت جولى قائلة:

- نعم. الا انك، عاجلا او آجلا، ستفعلين هذا، متى اصبحت فى سن تؤهلك للذهاب الى المدرسة. انى اعدك، بأن شيئا لن يتغير وستمارسين هوايتك اليومية التى تريدين متى تنتهين من دروسك.

وصل فرنسيس بعد الساعة بقليل، اذ لاحظ جمالها ومظهرها المميزين يبدى بيدى اعجابه فى كلمات من الغزل الرقيق ثم استدرك قائلا:

- الا انك دائمة الجمال.

وسرت جولى لاطرائه اياها.

ثم خرجا الى مطعم فى البلدة. حيث تناولا طعام العشاء. وبدت

جولى مرتبكة الى حد ما كلما اقترب احدهم، وكانوا كثرا، ليتحدث إلى فرنسيس، وعيونهم تحدج جولى بحشرية واضحة.

قال بلطف يخفف عنها:

- ما لك تبدين مرتبكة؟ نظراتهم نحوك تشعرنى باحساس لذيذ، بعدما ظننت ان رجلا فى مثل سنى فارقته هذه الأحاسيس.

اعترضت جولى، وهى تضحك:

- لكنك لست عجوزا.

أوما يعترف:

- انى فى الثامنة والأربعين» وأردف يسأل نفسه «اما انت فكم عمرك؟ خمس وعشرون؟ ست وعشرون؟ انى اكبر بنحو عشرين سنة. فى الواقع، انا فى سن والدك.

مدت جولى يدها ووضعتهما على يده، وقالت:

- العمر مسألة نسبية، انت لا تبدو متقدما فى السن، كما انك لا تتصرف تصرف واحد منهم. فلماذا توحى الى نفسك غير ذلك؟ ثم انك لا تختلف فى هذا الاحساس عن اى شخص آخر. أنا مثلا؟ انى اتصرف احيانا وانا اعيش ظروفا معينة كأنى عجوز بائسة.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتى فرنسيس وقال:

- كما سبق وقلت، انت مناسبة جدا لشخص مثلى.

ما ان ولجت باب الدار حتى انطلق بسيارته مبتعدا. كانت الأنوار فى الصالون مضاءة، واعتقدت ان السيدة هادسون لا تزال تشاهد

فلما تلفزيونيا. فتحت باب الصالون، وانسلت بهدوء كى لا تفاجأ الخادمة بدخولها فى حال كانت مستغرقة فى نومها. فجأة شهقت للمفاجأة غير المتوقعة. كان روبرت ممددا بكسل على الكنبة يغط فى نوم عميق. وبدا المكان هادئا مريحا.

نظرت جولى فترة طويلة فى وجهه المتعب وقسماته المسترخية فى آن. كان واضحا من محجرى عينيه انه لم ينم كفاية خلال سفرته، وبدا مرهقا.

الا انه اخذ يشعر بوجودها وهى تمعن النظر اليه، فتح عينيه فجأة، يطرفهما بكسل. جمدت جولى فى مكانها فيما نظراته تتبين حضورها بدءا من اسفل قامتها الى ان استقرت على وجهها.

هتف قائلا وهو لا يزال اعشى العينين:

- جولى! «لم يكن فى يقظة تامة بعد. تحامل على نفسه واتكأ على مرفقه عابسا، يحاول ان يعى ما حوله. ثم تأوه متألما» يا الهى، رأسى!

وارتد ثانية يلقى رأسه على الوسادات خلفه.

جلست جولى على حافة الكنبة، وقد داخلها القلق، ووضعت راحتها على جبينه وشعرت بارتفاع حرارته.

سألها بصوت اجش:

- ماذا بك؟ هل تأخرت عنك اليلة؟ هل كان فرنسيس لطيفاً معك؟ لماذا، خرجت معه ثانية؟ ما الذى تحاولين ان تفعلى بى؟

تلاحقت انفاسها بسرعة. وسألته مشدوهة:

- لك انت؟

- نعم؟ لى انا، جولى. الا تدركين ان مجرد وجودك مع رجل آخر... «واختنق صوته» هل انت مغرمة به؟

وضعت راحتيها على خدها، تستغرب سؤاله:

- كلا، طبعا.

- ليس اكثر مما احببت مايكل «تحدث بصوت شديد اللهجة» يا الهى، جولى. لقد فعلت حسنا بسفرك ومايكل الى مالايا قبل عودتى من فنزويلا، والا لكنت قتلتكما! «ضغط على مقدم رأسه متألما» آه، هل لديك اى شئ يخفف من صداعى هذا؟احس كأنه يكاد ينقسم نصفين!

عندما عادت ثانية الى الغرفة، وفى يدها علبة الاسبرين وفى الاخرى كوب ماء، وجدت روبرت مستلقيا ثانية على الكنبة. وضعت ما فى يديها على طاولة قريبة وجلست قربه تتفحصه بنظراتها، ثم سألته:

- منذ متى لم تنم ملء جفنيك؟

- لا اذكر... يومين... ربما ثلاثة أيام.

- لكن، لماذا؟ الم يكن فى استطاعتك ان تنظم اوقاتك فى شكل افضل يسمح لك بالراحة؟

سألها بصوت ضخم ومتعب فى آن:

- ما الفائدة فى الذهاب الى السرير والبقاء فيه قلقا، اتقلب يمنه فيسرى وبالعكس لساعات طوال فلا استطيع الاغفاء؟

- لا معنى لكلامك هذا! فانت تكاد تنهار.

قال لها بصوت لا يخلو من تعب:

- آسف ان اكون مصدر ازعاج لك، هذه الليلة.

- لست مصدر ازعاج اطلاقا! لكن، ما الذى دفعك الى ان تأتى الى هنا، روبرت؟

اغمض عينيه، واجاب:

- اردت رؤيتك. لقد قال لى هالبيرد انك اتصلت هذا الصباح بغية التحدث الى والدتى ولم تكن موجودة. قلت لنفسى لابد ان يكون هناك امر عاجل دفعك للاتصال بها.

- آه، فهمت الدافع الآن.

- هل كان اتصالك لأمى مهم؟

- كلا. اردت التحدث معها فى شأن ساندرا لوسن. افترض انك على علم بوجودها هنا.

اومأ ايجابا من دون ان يعلق على المسألة اول الامر. اما هى فوضعت يدا على فمها، وقد تنبهت لمل يمكن ان تشكله معرفة ساندرا بخروجها، وقالت متسائلة:

- اظن انها علمت هى الاخرى بخروجى مع فرنسيس.

أشار روبرت بوجهه واغمض عينيه ثانية:

- كلا. لم تعلم بالامر. وصلت نحو التاسة والنصف وكان هناك متسع من الوقت لاتحدث مع السيدة هادسون قبل ان تعود ساندرا.

سألته جولى، عابسة:

- وباميلا؟

- وماذا عن باميلا؟

استوضحها من دون اهتمام لذكر اسمها.

- كانت ساندرا تتناول طعام العشاء عند باميلا. الم ترها مع ساندرا لدى عودة هذه؟

- كلا.

بدت جولى فى حركات يديها كمن غلب على امره، وقد استعصى عليها فهم الحقيقة، وسألته:

- لكن، الا تظن ان ساندرا يمكن ان تفسر وجودك هنا على غير حقيقته؟

اجابها غير مكترث لملاحظتها:

- غالب الظن، نعم. الا انها اذكى من ان تعترض بأى شكل من الاشكال.

تنهدت جولى تسأله ثانية:

- وماذا قالت ساندرا حين رأتك هنا؟

- مرحبا.

- انك تتعمد الظهور مظهر الجاهل!

- كلا، لست اتعمد ذلك، كل ما فى الامر انى لا اريد التحدث عن باميلا الآن.

- هل قلت لساندرا اين كنت؟

- كلا، لم اذكر لها شيئا عن هذا. الا ان السيدة هادسون اوضحت

لها انك خرجت لفترة من الوقت. هذا، الى ان ساندرا فوجئت لرؤيتى هنا، فراح عن بالها كل حضور آخر.

- لا ألومها ان هى كانت مندهشة الى هذه الدرجة «تنفست ملء رئتيها، ثم استطردت تقول بلهجة جازمة» انك الآن فى حال لا تسمح لك بالعودة الى شقتك. فانت لا تستطيع قيادة السيارة، وما عليك الا ان تبيت الليلة هنا. هل تقدر على الصعود بمفردك الى الطبقة العلوية؟

نظر بنظرة غريبة مبهمة قائلا:

- لست عاجزا، كما يتبادر الى ذهنك.

- اعرف ذلك.

استغرقت جولى فى نومها حتى ساعة متأخرة من صباح اليوم التالى. كذلك فعلت ايما. اذ بدا ان هذه نعمت بوهج من الدفء لوجود جولى الى جانبها، فنامت قريرة.

افاقت جولى على حركة ابنتها تضج نشاطا وحيوية. ابتسمت لها وهى لا تزال مغمضة العينين، ووجه الطفلة تملئه الدهشة والتساؤل.

- لماذا نمت معى، امى؟

تمطت جولى وهى لا تزال ممددة وسألتها:

- هل من مانع لديك؟

- كلا. لكن لماذا انت هنا؟

نهضت جولى من السرير، تتطلع بعجب الى ساعة يدها، وكانت تخطت العاشرة، واجابت:

Roman-romancia.com

- لأن هناك شخصا آخر ينام فى سريرى.

- من هو؟

بدا الانفعال فى سؤال ايما.

- عمك روبرت.

كان منظره، ممددا فى هدوء وارتياح، مبعث الم فى نفسها. وراودتها نفسها فى الدخول الى الغرفة. لكنها، اذ تذكرت احداث اليوم السابق عادت وعياها. وأقفلت الباب بهدوء.

كانت ايما فى المطبخ مع السيدة هادسون. وبدت هذه متكدرة، تتمتم همسا بكلمات مبهمة وهى تحضر صنية افطار.

قطبت جولى، وبادرتها:

- ماذا فى الامر؟

التفتت السيدة هادسون نحوها وفى عينيها استسلام، واجابت:

- انها الآنسة لوسن. نزلت فجأت الى هنا، منذ نصف ساعة تطلب ايضاحا عن سبب التأخر فى تحضير الترويقة. اجبتها انك لم تستيقظى بعد، نظرا الى تأخرك الليلة الفائتة... «وتنهدت قبل ان تضيف» مختصر القول انها تريد افطارا جيدا، وعلى بالتالى ان آخذ لها طبقا من الرقائق، وبيضا مقليا، خبزا وقهوة!

- اذن، هذا ما يضايقك «ونظرت ابنتها بنظرة سائلة، ثم قالت تستوضحها» هل دخلت غرفة عمك؟

- نعم. لكنه لا يزال نائما. فعدت الى الخارج. هل ايقظته بدخولى

الغرفة؟

- كلا، لحسن الحظ.

ثم انتبهت جولى الى ان السيدة هادسون كانت تحدق فيها بدهشة لا تحفظ فيها.

وسألتها الخادمة:

- هل بات السيد روبرت ليلته هنا؟

تلون وجه جولى:

- نعم. لقد كان مرهقا. وكان نائما حين عدت الى المنزل

هزت السيدة هادسون برأسها، وقالت:

- نعم. اعرف هذا. لقد عاد الى لندن نحو السابعة والنصف مساء. وبعد ان اعرج على شقته حضر الى هنا

- اظن انك فوجئت برؤيته.

- نعم، سيدتى، كما انى سررت لوجوده، اذ كان رفيق سهرتى، اذا صح القول. قال لى، بعد ان ذهبت الآنسة لوسن الى فراشها، انه سينتظر عودتك«وتفحصت وجه جولى» ارجو الا تكونى تضايقت كونى ذهبت الى النوم وتركته هنا وحيدا؟

- كلا، طبعا.

ابتسمت الخادمة، واحست هذه بالاطمئنان.

بعد ان انتهت السيدة هادسون وضع طبق الافطار الذى كانت

طالبته منها ساندرا، حملت الصنية قائلة:

- سآخذها الى غرفتها.

قطبت جولى، معترضة:

- تقصدين انها عادت ثانية الى سريرها؟

- لست ادرى ان هى هكذا فعلت، سيدتى. لكنها قالت انها ستكون فى غرفتها.

- هات الصنية. سأناولها واياها وان فى طريقى الى غرفتى لارتدى ثيابى.

أيدت ايما الفكرة فهزت برأسها مؤيدة. واخذت جولى الصنية بعزم من يدى الخادمة. فتحت الباب وعادت الى الطبقة العلوية.

وكما توقعت، كانت ساندرا لوسن، تجلس الى طاولة تكتب رسالة. وفوجئت هذه لدى رؤيتها جولى تدخل الغرفة.

بادرت بالقول، وهى تعد مكانا على الطاولة لتضع جولى الصنية:

- شكر جزيلا. كان فى امكان السيدة هادسون ان تحضرها.

ردت عليها جولى بنبرة جافة:

- ليس من عادة السيدة هادسون أو من ضمن عملها ان تؤمن الخدمة الى الغرف. وصادف انى كنت آتية الى هنا...

- على اى حال، شكرا، سيدة بمبرتون.

بدت ابتسامتها خلوا من اى تعبير صادق.

قبل ان تخطو جولى خارج الغرفة، بادرتها ساندرا بالسؤال:

- فى المناسبة، هل كنت تعلمين ان السيد بمبرتون قادم الى هنا الليلة الماضية؟

- روبرت؟ «دست جولى يديها فى جيبى ردائها» كلا، لم اكن على علم بذلك؟

- لم اسمع صوت محرك سيارته ساعة غادر. هل كان لا يزال هنا لدى عودتك؟

أمسكت جولى مقبض الباب، واجابت:

- نعم «واضافت» فى الواقع، بات ليلته هنا!

ثم خرجت وقد أقفلت الباب باحكام، تاركة لساندرا ان تستنتج من جوابها ما تشاء.

عندما خرج روبرت من غرفة جولى، كانت ساندرا قد ذهبت تتنزه فى البلدة، بينما فضلت ايما اللعب فى الحديقة حيث لمسات البرد كانت لا تزال موجودة. اما جولى فكانت فى المطبخ تساعد السيدة هادسون فى تنقية الخضر تحضيرا لوجبة الغداء. كانت الساعة تقارب الثانية ظهرا. فتح الباب ودخل. بدا من حركاته انه نام جيدا، واختفت علامات الأرق والتعب التى وسمت وجهه الليلة المنصرمة. بادر جولى بنظرة قاسية لم تكن تتوقعها. ثم التفت الى الخادمة يسألها:

- هل فات الأوان لأن اتوسل من اجل فنجان قهوة؟

جففت السيدة هادسون يديها وهى تجيب:

- كلا. بالتأكيد... اراك تبدو احسن حالا اليوم.

- نعم. اشعر بذلك «وعاد ينظر ثانية الى جولى. ثم بادرها محييا» صباح الخير، جولى.

اجابته متمتمة:

- صباح الخير.

أشار برأسه شاكرا السيدة هادسون وقفل خارجا من المطبخ. وأحست جولى بأنفاسها تتلاحق بسرعة.

حضرت السيدة هادسون صنية صغيرة عليها بضعة فناجين، براد قهوة، حليب وسكر، اضافة الى كعك طازج. وما ان فرغت من امرها حتى بادرتها جولى:

- هل ستحمليها اليه، ام تفضلين ان اقوم بهذا عنك؟

- اذهبى انت بها. لا لزوم لأن تنكرى رغبتك فى هذا.

كان روبرت يقف قرب النافذة فى الصالون، فى بذلته الرمادية. وكانت ذقته غير الحليقة دليلا على انه لم يبت ليلته فى شقته. وعلى رغم هذا بدا لا يدانى فى جاذبيته. لدى سماعه وقع اقدامها، التفت نحوها، قائلا:

- شكرا «واضاف» سأغادر حالما انهى افطارى.

وضعت جولى الصنية على الطاولة:

- اتريدنى ان اسكب لك؟

لم يبد اعتراضا، وقال:

- اذا اردت.

جلست جولى على طرف الكنبة، وبدأت فى صب القهوة. ثم ناولته فنجانه. وقربت منه علبة السكر. وضع حبة فى فنجانه وقلب قليلا.

- يجدر بى، على ما اعتقد، ان اعتذر عن ازعاجى لك.

نهضت جولى من مكانها. وأجابت:

- اى ازعاج هذا؟ «ثم اردفت» انا التى عرضت عليك ان تبيت هنا «ورفعت نظرها نحوه تسأله» هل نمت جيدا؟

- انت تعلمين انى نمت جيدا.

- هذا جيد.

- اين نمت انت؟

- مع ايما.

- على الأن ان اذهب. اعتذر ثانية عن الازعاج الذى سببته لك.

- لكنك لم تكن مصدر ازعاج!

فى هذه اللحظة دخلت ايما الغرفة وهى تهتف بانفعال:

- عمى روبرت! عمى روبرت! « وقفزت الى ذراعه. ثم سألته عاقدة الحاجبين» لا اظن انك مغادرنا؟

- بلى. على ان اذهب.

- لكن، لماذا؟ «ونظرت الى امها» لماذا، امى؟ هل عليه ان يذهب، حقا؟

- نعم، حبيبتى.

وبدا صوت جولى متقطعا.

ضم روبرت الطفلة اليه، وقال لها:

- سأعود قريبا لزيارتك ثانية.

تكور فم الطفلة، وقالت بصوت متوسل:

- اوه، عمى. ارجوك ان تبقى. لقد كنت فى غرفتك هذا الصباح. الا ان امى لم تدعنى اوقظك... وها انت الآن ذاهب!

اجابها بجدية قائلا:

- انى متأكد، بوجود الآنسة لوسن هنا، ان...

- دعنى من الآنسة لوسن. فأنا لا احبها!

فجأة، عضت ايما على شفتها وانسلت من بين يدى روبرت. وأدركت جولى للحال ان الآنسة لوسن كانت تقف صامتة عند باب الغرفة تراقبهم. وعندما لاحظ روبرت وجودها، تكلف القول:

- عمت صباحا، آنسة لوسن.

بدا وجه ساندرا لوسن بارد التعابير، اذ هى سمعت ما كان يدور من حديث، لاسيما ما قالته ايما، الا انها، على ما يبدو، صممت على تجاهل الأمر وأجابت:

- صباح الخير، سيد بمبرتون. كنت فى نزهة فى القرية. وعلى رغم ان الطقس بارد، غير انه منعش يبعث النشاط.

ابتسم روبرت مجاملا:

- لا شك انه كذلك.

ردت عليه بابتسامة وحولت نظرها ناحية الطفلة:

- ماذا كنت تفعلين، ايما، فى اثناء غيابى؟

بدت علامات الرفض على وجه ايما وهى تجيب:

- لا شئ.

ولاحظت جولى، لأول مرة، ان ابنتها لم يسبق لها ان كانت فى حال ثورة مشابهة. كانت الطفلة تنظر الى روبرت فى استسلام وتوسل. ولمعت دمعتان علقتا بين رموشها:

- ارجوك، عمى روبرت، لا تذهب.

تردد روبرت لحظة، وهو يرمق جولى بألم. فبدرت منها حركة عفوية، وسألته:

- ابق، اذا كنت ترغب فى ذلك!

- نعم. لم لا تبقى؟ «رددت ساندرا، وأضافت» فى الواقع، كنت اتصور بقاءك، لذا اتصلت بباميلا بينما انا فى الخارج، وسألتها ان تأتى.

بدت شهقة غيظ من جولى:

- ماذا فعلت!

- هدئى من روعك، جولى! «علق روبرت وبدا غير مهتم للخبر، ثم

التفت الى ساندرا يسألها، هل اخبرت باميلا انى هنا؟

تظاهرت ساندرا بالخجل:

- كلا. ليس هذا ما قصدته، كل ما فى الأمر انى تصورت وجودك هنا سيكون مفاجئة سارة لباميلا.

مسح روبرت دمعة عن خد ايما، وابتسامة غريبة ترتسم على وجهه وقال بنبرة مهذبة:

- استطيع القول انك تصورت انك بعملك هذا يمكن ان تقلقى بالها؟

احتقن وجه ساندرا، وقالت تبرر تصرفها:

- باميلا صديقتى. وقد قمت بما اعتقد انه الأفضل.

- الأفضل لمن؟ لباميلا؟ ام لك؟

- ماذا تقصد؟

حدق فيها روبرت بعينين ثاقبتين:

- بئس عقل كعقلك، آنسة لوسن. هل تتصورين فعلا، ان مجئ باميلا، وانا هنا، سيؤدى الى سوء تفاهم، ولو بسيط، بينى وبينها؟

- انى متأكدة...

- كلا، آنسة لوسن. لن يكون خلافا بيننا. فهى ليست كما يتهيأ لك. انها تريد الزواج بى لأنى الرجل المناسب تماما لها، اجتماعيا وماديا على حد سواء. علما انه قد يكون فى بعض تصرفاتى، بين حين وآخر، ما يضايقها، الا ان كل ما حققته باتصالك بها ودعوتها الى هنا،

هو اذلالها. أو تظنين انها ستكون شاكرة لك صنيعك؟

هتفت ساندرا بصوت مرتفع تدافع عما اقدمت عليه:

- كيف يمكنك والحال هذه ان تقر بتصرف كهذا؟

- انى لا اقر بشئ، اذ لا شئ لدى اعترف به. كذلك الحال بالنسبة الى السيدة بمبرتون.

- ما الأمر، عمى؟

سألت ايما، يكاد ينفذ صبرها

- لا شئ، صغيرتى «نظر اليها بحنان» اذهبى وبدلى ثيابك. سألحق بك بعد خمس دقائق. سنلعب معا لعبة «الأميرة والمارد».

- رائع!

وهرولت الطفلة الى خارج الغرفة واستدار روبرت ثانية نحو المربية.

- والآن، ما رأيك؟

بدت ساندرا متضايقة، ورمت جولى بنظرة سخيفة:

- لقد فات الأوان لأن اغير مجرى الأمور.

اجابها روبرت بصوت يترجم قساوة تعابير وجهه:

- يجب الا تعرف باميلا ساعة وصولى الى هنا. فهى لا تنتظر عودتى مبدئيا قبل هذا المساء. وإذا ما تساءلت، ان هى حضرت ورأتنى، عن ساعة قدومى فتفسر ذلك ببساطة، انى عرجت الى هنا منذ فترة وجيزة.

صرخت ساندرا فى غضب:

- أ أنت تدعونى فى هذه الحال الى ان اكون شريكة لك فى سرك؟

- بالعكس. المطلوب منك ان تنقذى باميلا من موقف محرج.

- وماذا ان هى لم تهتم اهتماما لكونك بت ليلتك هنا؟

- لكنك قصدت من وراء اتصالك بها ودعوتها الى هنا ان تجدنى فى المنزل. وبالتالى افسحت المجال واسعا لشكوكها. أو تظنين انها ستغفر لك ما يمكن ان تسببه لها؟

- انك... منافق فعلا!

- بل انا رجل عملى «وأضاف يسألها» هل اتفقنا اذن؟

- حسنا. لن اقول شئ، لكن لن انسى هذا ابدا.

- لن انساه انا كذلك.

رد عليها جازما، وخرج يبحث عن ايما.

كانت ساندرا، تلك اللحظة، ترقبها بعينين تتلظيان. ثم بادرتها بالقول:

- اظن ان الذى جرى، كله لمصلحتك، اليس كذلك؟

رفعت جولى عينين متعبتين:

- لماذا؟

- هذه المسرحية! هذا الادعاء بوصوله من الولايات المتحدة، منذ لحظات! انه ليس مهتما بموقف باميلا من الموضوع او مكترثا لصداقتى لها!

٥ ـ أين الحقيقة..؟

اتصلت به هاتفيا فى مكتبه. وبدا فرنسيس مغتبطا، على عادته، لسماعها. وبادرها:

- متى اراك ثانية؟

- فى الواقع، انى فى حاجة الى مساعدتك، فرنسيس.

- مساعدتى؟ فى اى موضوع؟

- اريد منك ان تبحث مع روبرت فى مسألة... ان تسأله اذا كان ممكنا ان يعيد تغيير قراره فى شأن ارسال ايما الى مدرسة. فهى ترغب فى الذهاب الى مدرسة البلدة. انها، ببساطة، لا تريد ان تدرس على يد مدرسة خاصة، علما ان ساندرا تظهر قدرا كبيرا من الصبر والأناة حيالها.

- هذه هى المشكلة، اذن. اتريدينى ان احضر شخصيا وابحث مع ايما فى المسألة؟

- لا اعتقد ان هذا سيغير من الواقع فى شئ. طبعا، ستنبسط برؤيتك. لكن، ما ان تتركها وتغادرنا...

اجاب فرنسيس، وقد ادرك عمق المسألة:

- حق ما تقولين. الا انه يجدر بى ان الفتك الى انى وروبرت لسنا على اتم وفاق هذه الأيام. لقد المح لى ببعض الملاحظات القاسية، لدى زيارته لنا الأحد الماضى.

- عم كانت ملاحظاته؟

- عنك، طبعا. لقد طلب منى ان ادعك وشأنك.. وانه لا يجد علاقتى معك مبررة. وانه لن يقف مكتوفا حيال هذا، ويتركك تحطين حياتك، الخ...

- اوه. انى آسفة، ان كنت سببا فى ما حصل بينك وبينه.

- لا اخفى عليك، انى كنت سأخطأ بادئ الأمر لملاحظاته هذه. الا انى ادركت فى ما بعد انه كان يريد مصلحتك. وبدا لى انه يحس بمسؤولية كبرى حيالك ملقاة على عاتقه... انتما الاثنين. لا ادرى كيف سيصمد زواجه وباميلا بازاء هذه الحقيقة.

- ماذا تقصد؟

- الحقيقة، انى لو لم اكن اعرفه جيدا، لقلت ان التزامه حيالك هو اندفاع الى ابعد من مجرد واجب اخلاقى. لكن هذا من السخافة بمكان. اليس كذلك؟

- نعم. «ومع هذا وجدت صعوبة فى التركيز على الموضوع الذى من اجله اتصلت به» لكن... قل لى، هل ستبحث معه فى موضوع ايما؟

تردد فرنسيس لحظة قبل ان يجيب:

- اذا كان هذا ما تريدين...

- بالطبع، هذا ما اريده.

- حسنا. انه قادم الى الغداء عندنا. ساحاول ان اكلمه فى الموضوع.

- شكرا لك، فرنسيس، شكرا.

- لا تشكرينى الآن، فانا لم احقق شيئا بعد.

بدت السيدة هادسون راضية عندما اخبرتها جولى بما دار بينها وبين فرنسيس، وعلقت قائلة:

- اذا كنت لا تدرين، فان للسيد هيلينغدون طرقا فى الاقناع.

ابتسمت جولى وهى تقول:

- نعم. لكن يبدو ان روبرت اخذ عليه دعوته اياى الى العشاء خارجا فى نهاية الاسبوع الماضى. وهما لهذا ليسا على وفاق تام.

رفعت الخادمة حاجبيها:

- احقا ما تقولين؟ «ثم ابتسمت وهى تتمتم» لا بأس، لا بأس.

هزت الخادمة رأسها وهى تزن كمية من الطحين لصنع قالب من الحلوى، وقالت:

- ليس هذا من شأنى، سيدة بمبرتون.

- كيف يمكنك ان تقولى هذا، وقد علقت منذ لحظة على الموضوع؟ «اعتلت جولى كرسيا ثم اردفت» آه، لو يقبل روبرت، فقط، بأن تذهب

ايما الى المدرسة، فتكون صداقات مع اطفال اخرين...

- والمربية التى استقدمها ستصير خارج المنزل!

- هذا بديهى. لا استطيع ان افهم سلوك ايما هذا. من عادتها ان تكون حسنة الطبع والسلوك.

افرغت السيدة هادسون الطحين فى وعاء صغير، قبل ان تقول:

- اعتقد ان الاهتمام الزائد بها والدلال من قبل جدتها والسيدين روبرت وهيلينغدون جعلاها تركب رأسها. ثم انها طفلة فى الخامسة من عمرها فقط، تصورى المتغيرات التى كان عليها ان تتكيف معها خلال هذه الاشهر القليلة الأخيرة!

- هل تعتقدين، اذن، انها مدللة كثيرا؟

- رعاك الله. ليست الحقيقة شيئا من هذا. من حقها ان تكون مدللة الى حد ما. هذا اذا ما سئلت فى الموضوع. انها تحاول ان تجد لنفسها موطئ قدم فى عالم يكثر فيه الناس حولها.

- هل تعتقدين ان هذا هو السبب الذى يجعلها فرحة فى كل مرة يأتى روبرت الى هنا؟

- لا اعتقد ان هذا هو كل ما فى الأمر. انها طبعا ترى فى روبرت الأمان، لكن المسألة ابعد من هذا، على ما اعتقد. اذ ان الطفلة متعلقة به كثيرا. فهى تتحدث عنه فى شكل مستمر. كذلك تتحدث عن السيد هيلينغدون، الا ان السيد روبرت هو الانسان المصطفى لديها.

وضعت جولى راحتيها على خديها وقد احست بدمعتين حارقتين

فى عينيها.

اردفت السيدة هادسون قائلة:

- انه اهل لأن يكون كذلك.

كان صوتها خافتا الى درجة لم تسمعه جولى بوضوح.

وسألتها:

- ماذا قلت؟

تخضب وجه السيدة هادسون:

- قلت... انه المفضل لديها. الا تعتقدين ذلك؟

- لماذا؟

- حسنا. كونه اخ السيد مايكل، ويشبهه كثيرا.

- آه، فهمت ما ترمين اليه.

- ماذا ظننت انى قصدت بقولى غير هذا؟

رفعت جولى كتفيها تفتش عن جواب:

- لماذا؟... لا شئ.

مسحت السيدة هادسون الطحين عن يديها بطرف مريلة المطبخ، وقالت:

- لو انك كنت تزوجت السيد روبرت، سيدتى، لكان هو والد ايما.

حدقت فيها جولى واجابتها فى اقتضاب:

- لم يكن هذا ممكنا.

- صحيح. لانك رفضت الزواج به قبل سفره الى فنزويلا، اليس كذلك؟

- وكيف عرفت هذا؟

- السيد روبرت نفسه اخبرنى. كنا نتحدث، تلك الليلة التى بات فيها هنا، عن تلك الأيام التى كان يكثر فيها من اسفاره.

- وماذا اخبرك ايضا غير ذلك؟

- لا شئ يذكر، سوى انك كنت ثائرة يومها على قراره فى السفر.

- كان ذلك امرا بديهيا.

- كان فى امكانك ان تسافرى معه، بعد زواجكما.

احست جولى بالصقيع يغلف قلبها:

- اعرف ذلك. الا اننا تجادلنا تلك الليلة...

- والسبب اضطراره الى السفر قبل اسبوع من موعد زفافكما؟

- نعم. اوه. انى ادرك ان الأمر يبدو الآن سخيفا. غير انه فى ذلك الوقت كانت مسألة مبدأ كنت فى التاسعة عشرة من عمرى.

- كنت اعمل فى الشركة خاصتهم... فى الواقع، مديرى هو الذى عرفنى اليه. كنت قد سمعت عنه قبل ذلك، ذلك ان شهرته كانت فى كل مكتب من الشركة.

- اكملى.

- اوه. كان روبرت شخصا ينال اى شئ يسعى وراءه، وبالتالى اخذ يوجد الاعتذار ليأتى إلى مكتب السيد هارفى حيث كان عملى. كان يعرض على ان يوصلنى بسيارته، او ان يدعونى الى غداء. وكانت الفتيات الاخريات يحذرننى منه. غير ان ذلك لم يكن ضروريا بالنسبة لى، اذ كنت ادرك تماما اى نوع من الشباب هو. كان معتادا على ان يصل الى أهدافه بسهولة سألنى ذات يوم ان كنت قبل الزواج به،«هززت رأسها فى اسى» لم اصدق آنئذ عرضه. ظننت ان الأمر لا يعدو كونه مناورة الا ان الحقيقة كانت غير ذلك. لقد كان يحبنى فعلا.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- ما يحصل عادة فى مسائل كهذه. اصطحبنى ليقدمنى الى والدته. وكانت هذه آنذاك تملك منزلا فى منطقة ريتشموند... اوه، طبعا، انت تعرفين هذا. حسنا. فى اى حال، لم تشغف والدته بى، لكنها ادركت يومئذ كم كان روبرت جادا، وكان عليها بالتالى ان تسلم بالأمر بطريقة تحفظ ماء الوجه. ثم وضعت كل الترتيبات لحفلة الزواج. ولم يكن هناك من يساعدنى على تحضير نفسى، ذلك انى، بعد مقتل والدى فى حادث سيارة، ارسلت الى ملجأ حيث ترعرت، فاخذت السيدة بمبرتون على عاتقها امر مساعدتى فى التحضير لحفلة الزواج. ثم طرأت فجأة حادثة فنزويلا التى فجرت المسألة برمتها.

- والغيت حفلة الزواج؟

- نعم.

استدارت جولى مبتعدة. لم يعد فى استطاعتها ان تسترسل اكثر فى الحديث، وادركت السيدة هادسون معاناة جولى فغيرت موضوع الحديث. وبدت جولى مقدرة لها ما فعلت.

عاودتها ذكرى تلك الليلة التى كان على روبرت ان يخبرها انه مضطر الى السفر الى فنزويلا.

فى بدء سهرتهما، لم يخبرها شيئا. وكانا التقيا، على عادتهما، فى وسط المدينة، ثم تناولا طعام العشاء فى احد المطاعم كانا يكثران من الذهاب. تلك الامسية، بدا روبرت قليل الكلام مكتئبا قليلا، الا ان جولى لم تلاحظ ذلك، كونها كانت تحس بسعادة عارمة لعلمها ان اسبوعا واحدا يفصلها عن زواجهما، تصير بعده السيدة روبرت بمبرتون.

لكنها اضطرت الى ان تعترف لنفسها، وقد فرغا من عشائهما، ان شيئا ما ليس على احسن حال. وملكت قلبها رعشة من الخوف. وعندما اقترح روبرت ان يفوت على منزل والدته فى ريشتموند، لم تمانع. غير انها تساءلت، على رغم ان كل شئ اصبح جاهزا فى شأن حفلة الزواج، عما اذا كانت هذه هى اللحظة التى سينهار فيها كل شئ بينهما.

عندما توقفت السيارة فى الساحة، لاحظت جولى ان المنزل غارق فى ظلام دامس، وتطلعت نحو روبرت مستفسرة.

بادرها هو يوضح لها:

- والدتى تقضى نهاية الاسبوع هذه خارج المنزل.

وخرج من السيارة ليأتى ناحيتها ويفتح لها الباب.

خرجت من السيارة مترددة:

- لماذا اتيت بى الى هنا، روبرت؟

اغلق الباب، قبل ان يجيب:

- تعالى الى الداخل. انا فى حاجة الى فنجان قهوة.

فى الصالون المترف الاثاث، اغلق الباب خلفه، وقادها الى الصالون. وفيما هما فى طريقهما اذا بالسيدة هيوز، خادمة السيدة بمبرتون، تطل من باب المطبخ وفى عينيها استغراب.

بادرت تسأله:

- ظننتك، سيدى، ستمضى سهرتك فى المدينة؟

اجابها بنبرة لا تخلو من حدة:

- كنت اعتزم هذا. لا تزعجى نفسك، سيدة هيوز. لن نكن فى حاجة الى شئ، يمكنك الذهاب.

- كما يشاء سيدى.

وقفت جولى خلف الكنبة، تراقب روبرت يسكب لنفسه فنجان شاى مثلج. فجأة، استدار فى حركة عصبية، وقال لها:

- اجلسى. لن اضايقك فى شئ فلا تجزعى.

الا انها لم تستطع اخفاء قلقها، فسألته:

- لماذا اتيت بى الى هنا؟

- لا سبب لقلقك هذا، جولى. اردت ان احدثك عن امر فى مكان حيث نستطيع ذلك فى هدوء. هذا كل ما فى الأمر. اجلسى، ارجوك.

اقتربت لتأخذ لنفسها مكانا على كنبة وثيرة.

- الا ترغبين فى فنجان شاى؟

- كلا، شكرا.

- لدى نبأ غير سار، جولى.

احست كأن يدا باردة اخذت تعصر قلبها:

- نبأ غير سار! اى نبأ هذا؟ ليس... فى شأن مايكل؟

كان مايكل فى ذلك الوقت فى رحلة على متن سفينته. وظنت انه قد يكون وقع له حادث.

هز روبرت رأسه نفيا، يحررها من قلق ليأسرها من جديد:

- كلا. ليس مايكل، بل موران الذى قتل فى فنزويلا، أمس.

وضعت يدا على عنقها، وفى عينيها حيرة وتساؤل. ورددت:

- موران؟ تقصد دنيس موران؟

كان دنيس موران مهندسا استشاريا يعمل لشركة بمبرتون.

- نعم. هو بالذات. كان يعمل فى مشروع وادى نهر غوابا «صمت لحظة، ثم سألها» هل سمعت بهذا المشروع؟

- بالطبع «حاولت جولى ان تتذكر» اليس هو المشروع الذى بدأته انت شخصيا؟

- نعم.

اجاب روبرت يومئ برأسه.

واردفت قائلة:

- طبيعى ان اشعر بأسى لفقد اى انسان، الا انى لا ارى، عدا هذا، ما الذى...

- لست ترين اى علاقة بين مقتله وبيننا نتيجة هذه الحادثة. اهذا ما اردت قوله؟

- نعم. اهذا كل ما فى الأمر؟

- اخشى ان يكون غير هذا. كان مفترضا ان نكمل هذا المشروع منذ وقت طويل. لكن حدث تأخر فى التنفيذ. وعلينا ان ننتهى من بناء السد قبل موسم الشتاء الذى اخذ يقترب.

حبست جولى انفاسها:

- وماذا يعنى هذا؟

صرخ فيها روبرت وقد نفذ صبره:

- انت لا تسهلين الأمر على لاشرح لك الموضوع.

قالت وهى تحدق فيه:

- ماذا تريدنى ان اقول؟ لست ارى كيف ان مقتل هذا الرجل يمكن ان ينعكس علينا.

- الا ترين العلاقة؟ ام انك لا تريدين ذلك؟

اراح يده على الجدار واحنى رأسه يسنده الى ذراعه. واضاف:

- ان الأمر واضح «صمت قليلا ثم اكمل بصوت ضعيف» على ان اسافر الى هناك لاحل محل موران فى الاشراف على تنفيذ المشروع.

انتصبت جولى كمن لدغ، وهتفت بصوت عال وبغضب:

- عليك ان تسافر الى فنزويلا؟

- نعم.

- لماذا انت؟

فى هذه اللحظة نسيت جولى كل ما يتعلق بحفلة الزفاف التى لا يفصلهما عنها سوى ايام معدودة.

- لانه... وكما ذكرت انت بنفسك للحظات، انا الذى بدأ هذا المشروع. وقد تسلم موران منى.

هزت رأسها بعنف غير مقتنعة:

- وان يكن هذا. فهناك مهندسون آخرون فى الشركة..«وانهارت فجأة» ماذا يعنى كل هذا؟ ماذا تحاول ان تخبرنى؟ متى ستسافر؟

استدار نحوها وبدا وجهه مكفهرا:

- على ان اغادر فى خلال... يومين او ثلاثة.

تملكها الخوف، وهتفت:

- لكنك لا تستطيع ان تفعل هذا! هل نسيت، روبرت؟

غمغم بصوت حمله كل ما فى داخله من مرارة:

- بحق السماء، كيف استطيع ان انسى؟ ولهذا جئت بك الى هنا. لاخبرك الحقيقة من دون مواربة. كل ما اطلبه منك ان تحاولى تفهم وضعى...

صرخت به قائلة:

- وضعك انت! وماذا يعنى؟ لا يمكنك ان تقدم على عمل كهذا؟ لم لا يذهب احد غيرك؟ لماذا يجب ان تكون انت بالضرورة البديل؟

اشار اليها بيده ان تهدئ من ثورتها وانفعالها، وقال بصوت اجش:

- حاولى ان تنظرى الى المسألة بعين المنطق. هل تظنين انى ارغب فى السفر الى فنزويلا؟

- لست متأكدة، حقيقة، ما الذى ترغب فيه.

تنهد روبرت، وقال بصوت متهدج:

- بالطبع تعرفين ماذا اريد. اريد ان ابقى هنا، معك. اريد ان اتزوجك! اردت هذا وانتظرته لفترة طويلة. كيف تتصورين احساسى، والحال هذه؟

اجابته وهى تكاد لا تصدق ما يقوله:

- لست ادرى شيئا، لم تعطنى بعد عذرا مقبولا يوجب ذهابك.

قاطعها بانفعال، قائلا:

- انى لا اقدم اعذارا. اسمعى، سأحاول ان اوضح لك المسألة بالتفصيل. المشروع من تصميمى. انا الذى رعاه واشرف عليه فى بداياته. وعندما بدا ان كل شئ يسير بحسب ما هو مرسوم، وقع

انفجار فى السد، قتل بنتيجته موران. فكيف، بالله، استطيع ان ارسل شخصا اخر لينجز ما بدأته ان؟

كانت جولى فى حالة عصبية ظاهرة، تشبك اصابعها وتباعدها فى حركة مستمرة. وعلقت قائلة:

- لكن الوقت ليس عاديا، روبرت. اذ ان كل الترتيبات وضعت تحضيرا لزواجنا الاسبوع المقبل. ولا يمكننا ان نلغى كل شئ.

اجابها روبرت غاضبا:

- انى لا اقترح الغاء كل شئ. كل ما طلبته منك ان توافقى على تأجيل الموعد المقرر.

- ان نؤجله! ترى، فى رأيك، كيف سيتقبل الناس هذا الأمر؟

- ماذا تقصدين؟

- تماما ما اقوله «كانت حركات رأسها تواكب حدة كلماتها» الا ترى كيف سيفسرون هذه الخطوبة؟ هل فقدت بصيرتك ايضا؟ مجرد ذهابك فى هذه المهمة دلالة على ان العلاقة بيننا قد قطعت... انتهت! وان تأجيل موعد الزواج ما هو الا الغاء تدريجى لعلاقتنا برمتها.

- ما تقولين هراء بهراء. «بدأ صبر روبرت ينفذ، واعصابه تزداد توترا اذ فاجأته كل هذه العقبات غير المنتظرة لخططه» لن نؤجل موعد زواجنا فترة طويلة... شهر او شهران على الأكثر.

- شهران! «اشاحت بنظرها بعيدا عنه» دع شخصا اخر يسافر بدلا منك.

اجابها معاندا وقد عقد الرأى على المضى فى ما رآه.

- لا استطيع ذلك. اسمعى، جولى، لقد حاولت ان اشرح لك المشكلة. واذا كنت لا تصدقيننى، فلست ادرى سبيلا اخر لاقناعك.

احنت جولى رأسها فى انكسار:

- كيف لى ان اصدقك؟ هل والدتك على دراية بالأمر؟

- نعم. انها تعرف.

- غالب الظن انها هللت للحدث «قالت بصوت ضعيف. ثم اضافت وفى نبرتها مرارة اليأس» على كل، انها فرصة توفر لها اسبوعا او اسبوعين تستطيع خلالها ان تقنعك بانك تقترف بزواجك اعظم خطأ فى حياتك. اليس كذلك؟

بدا روبرت فى حال من المعاناة الشديدة، فصرخ فيها:

- جولى!

- اريد ان اعود الى منزلى! «ثم استدارت نحوه» قم بالترتيبات التى تراها ملائمة فهذا شأنك. خصوصا ان والدتك هى التى خططت لكل هذا.

- لن ادعك تذهبين وانت فى هذه الحال... كونى عاقلة، جولى! انى احبك. الا يعنى لك هذا شيئا؟

- لو كنت تحبنى، لما سمحت لنفسك ان تفعل بى هذا... بل اننا نحن الاثنين! «حدقت فيه، ونداء رجاء اخير فى عينيها» ارجوك روبرت، دع احدا اخر يذهب. بيتر مثلا او ليونل غرانت.

- كلا «قالها بحزم» على ان اذهب بنفسى، ارجوك ان تتقبلى الأمر.

تلفت روبرت جوله بحركات يائسة، كما لو يفتش عن كلمات يثبت بها صدقه فى ما قاله:

- جولى، لا يمكنك ان تفعلى بى هذا... انا فى حاجة اليك!

- اريد العودة الى بيتى. هلا اوصلتنى؟

عندئذ تحرك روبرت نحوها بغضب عارم، وقبض على ذراعيها، وانفاسه تحرق بشرتها الرقيقة، وصرخ بها:

- احبك! اريد ان اتزوجك!

كان البرد قارسا فى الخارج، على عكس الجو الدفئ الذى كان قرب الوقد. وتراءت لجولى الحياة فى غياب ساندرا راحة مطلقة. واحست بحاجة ماسة الى رفقة ايما فقصدت غرفتها تتفقدها. الا انها، ما ان وصلت الى باب الغرفة، حتى وجدتها خالية. دخلت الى الحمام، عاقدة الجبين، فلم تجد لها اثرا. وخالجها احساس لكنها وجدتها خالية. هزت رأسها مستغربة اختفاء طفلتها. ونزلت ثانية الى الطبقة الارضية. وفكرت ان ابنتها لابد ان تكون مع السيدة هادسون. كانت السيدة هادسون وحيدة فى غرفتها، قالت لجولى انها لم تشاهد الطفلة. فبدأ القلق يداخلها شيئا فشيئا. ترى اين هى؟

قالت السيدة هادسون؟

- ربما خرجت الى الحديقة.

- آه، طبعا كيف لم يخطر هذا ببالى، خصوصا انها لم تصعد الى غرفتها بعد الغداء.

- سآتى معك.

الطقس الضبابى القى ظلالا على الحديقة، وسحابة رقيقة غطت رؤوس الاشجار. وبدأ الغسق يهجم، والبرد قارس الى درجة جعلت جولى تحبس انفاسها. وسرت قشعريرة فى جسمها. كان السكون يخيم على المكان. وبدا لها انه غير الممكن ان تكون ايما خرجت الى الحديقة. هذا، الى انهما لم تسمعا لها صوتا ولا لاحظتا لها اثرا. نادت جولى بصوت عالى:

- ايما! اين انت يا حبيبتى؟

لم يلق نداؤها جوابا. والتفتت الى السيدة هادسون التى لحقت بها. بدت هذه قلقة وهزت رأسها فى حيرة:

- اليست فى الحديقة؟

- كلا. هل... يا ربى. هل هذه ايما هناك؟

ولم تنتظر جولى جوابا، بل انطلقت هلعة الى حيث لمحت جسما يتحرك ببطء بين حطام الارجوحة. هناك على الارض، تحت الخيوط المنسلة من حبل الارجوحة كان جسم الطفلة الصغير مطروحا بلا حراك تقريباً، والدماء تسيل غزيرة من جرح فى رأسها.

صرخت جولى وهى تنشج:

- يا الهى، ايما! ايما!

وجثت على ركبتيها تلقى برأسها على جبين الطفلة. ثم مررت يدها على صدرها تتحسس النبض الصادر من قلبها الصغير.

بالكاد احست بوجود السيدة هادسون الى جانبها، فرفعت اليها عينين معذبتين وتمتمت:

- هل هى... هل هى ميتة؟

هزت السيدة هادسون رأسها نفيا. غير انها مثل جولى، بدت ممتقعة، وقالت بعد جهد، بصوت مشدود:

- كلا يا عزيزتى، لم تمت. لكن يبدو انها نزفت كثيرا، خصوصا بعد مضى وقت عليها هنا فى هذه الحال وفى هذا الجو الشديد البرودة، هيا. اسرعى الى المنزل واطلبى سيارة اسعاف!

ترددت جولى اولا، وقد ابت ان تترك ابنتها، الا انها ادركت ان بقاءها الى جانبها لن يفيد الطفلة فى شئ. فانتصبت وخفت برشاقة الى المنزل، فعبرت الصالون، لتطلب سيارة اسعاف. اخطأت فى طلب رقم قسم الطوارئ مرتين، قبل ان تسمع صوت محرك سيارة فى ساحة المنزل، فاندفعت تهرول الى النافذة تستطلع الأمر. رأت روبرت يترجل من سيارته فهرولت ثانية عبر الصالون ودفعت الباب قبيل ان يهم بالدخول. نظرة واحدة الى وجهها كانت كافية ليستنتج ان امرا رهيبا قد حدث وبكلمات متقطعة، استطاعت جولى ان تخبره بما حدث، ابعدها من طريقه وراح يعدو عبر المنزل فى اتجاه الحديقة الى حيث الطفلة ممددة. نظر بعبوس الى الارجوحة المحطمة، وخيل الى جولى انه سيسألها عنها، لكنه انحنى يجلس منحنى الرجل الى جانب

الطفلة المغمى عليها ثم اخذ يتفحص الجرح فى رأسها. وسأل بصوت متهدج تخنقه العاطفة:

- بالله، كيف حدث لها هذا؟

اجابت السيدة هادسون:

- يبدو، سيدى، من ثيابها الممزقة، انها تسلقت الشجرة وسقطت... ويبدو ان رأسها اصطدم بحافة الممر لدى سقوطها... انظر.

اومأ روبرت، وهو ينتصب ثانية:

- اسرعى الى المنزل واحضرى بطانية لالفها بها. سأنقلها بنفسى الى المستشفى.

نظرت السيدة هادسون الى جولى بتساؤل، فأومأت لها هذه ان تفعل طلبه منها روبرت. واسرعت الخادمة نحو المنزل. بينما جثت جولى ثانية على ركبتيها الى جانب ايما. واخذت يد الطفلة بين راحتيها. كانت الصدمة قوية، غير ان دموعها الى مقلتيها سبيلا. واحست بجفاف فى حلقها، وشعور رهيب بالخوف.

وضع روبرت يديه بثبات على كتفيها وشدها اليه، وقال:

- لا تخافى، ليس هناك شئ تستطيعينه حيالها. كل ما تفعلينه بتصرفك هذا انك تزيدين الأمور تعقيدا. هل تريدين الذهاب معى الى المستشفى؟

- طبعا.

خرجت الكلمة من فمها بصعوبة بالغة. ارتعشت. فخلع معطفه

والقاه على كتفيه، وهو يتفقد المكان حوله بقلق، ينتظر عودة السيدة هادسون. حاولت ان تجد وسيلة لمساعدة ايما، فسألت بصوت تفاوتت قوة نبرته:

- اليس من الخطر ان نحركها من مكانها؟

القى روبرت نظرة على الجسم الصغير الجامد، وقال:

- لا اعتقد ان هناك كسورا فى جسدها.

ويجب ان تنقل من هنا بسرعة فالضباب والرطوبة يؤذيانها.

- هل تعتقد... هل تعتقد انها ستكون بخير؟

- طبعا، طبعا ستكون بالف خير.

عادت السيدة هادسون ببطانية، تناولها روبرت ولف بها الطفلة بعناية، وحاول ما استطاع ان يرفع رأسها بكل اناة. لحظة بان مصدر النزيف، اشاحت جولى بنظرها، وطغى عليها هاجس رهيب ان الطفلة ستموت لا محالة، من دون ان يدرى روبرت انها... ابنته.

فى الطريق الى المستشفى، كانت جولى، بين الفينة والاخرى، ترفع ضمادة من القطن عن الجرح النازف وتبدلها باخرى، والافكار تتقاذف ذهنها وعقدة الذنب تكبلها. ولاحظت فى الوقت نفسه ان روبرت كان يعانى الامرين هو الآخر. العاملون فى قسم الطوارئ كانوا فى انتظارهم، ذلك ان السيدة هادسون اتصلت بالمستشفى سلفا. وفور وصولهم نقلت ايما على حمالة نقالة على جناح السرعة. كان الطبيب لطيفا جدا، قاد جولى وروبرت الى غرفة الانتظار اليهما البقاء حتى يفحص ايما ويأخذ صورة اشعة لرأسها.

مرت بضع دقائق، خالتها جولى دهرا، واذا بممرضة تدخل الغرفة. ونظرت نحو جولى والاضطراب ظهر على حياتها. نهضت هذه من مكانها وكادت ان تخونها قواها. اشارت اليها الممرضة.

- سيدة بمبرتون. هلا تفضلت بالمجئ معى؟

التفتت جولى نحو روبرت فأومأ لها باشارة يشد من عزيمتها. خرجت الممرضة وسارتا فى الصالون المؤدى الى غرفة صغيرة مخصصة بالفحوصات الأولية حيث كانت ايما لا تزال ممددة على السرير بلا حراك.

اقترب منها الطبيب لحظة دخولها، وقال: هناك شئ على ان اصارحك به، سيدة بمبرتون.

- ما الأمر؟

- هدئى من روعك، سيدة بمبرتون. فليس هناك ما يخص وضع ايما لا نستطيع التغلب عليه. ستكون انشاء الله على ما يرام. لكنها تحتاج الى كمية من الدم اثر النزيف الذى افقدها الكثير منه. والواقع ان فصيلة دم ايما، لسوء الحظ، نادرة. انها الفصيلة ا ب سلبى. وهى فصيلة ليست متوافرة حاليا فى المستشفى.

هتفت جولى تلقائيا، تقاطعه:

- دم روبرت من الفئة ذاتها!

- روبرت؟ من يكون؟

شدت بقبضتها على حقيبة يدها، لكثرة ارتباكها، وقالت: نعم... انه

السيد روبرت بمبرتون... صهرى.

- اتعتقدين انه مستعد للتبرع؟

- اوه، لست ادرى... انه ... ربما.

كانت كلماتها الأخيرة تعكس ترددها، اذ هى ندمت على اطلاعهم على هذا الأمر. لكنها ادركت فى ما بعد انها فعلت هذا لانقاذ ايما. فحياة الطفلة عندها كانت اهم من اى شئ اخر. اوما الطبيب الى الممرضة التى احضرت جولى قبلا، وقال لها:

- اذهبى واسألى السيد روبرت ان يأتى الى هنا.

اما جولى فدنت من سرير ايما تنظر بحنان الى وجهها المبيض والدم المتخثر بقعا على جبينها. مسكينة هذه الصغيرة، كل ما حدث لها سببه تلك الارجوحة.

دخل روبرت الغرفة، تتقدمه الممرضة. نظر الى ايما اولا ثم الى جولى. وتقدم منه الطبيب وهو يراجع بعضا من الملاحظات كان قد دونها على ورقة صغيرة. رفع نظره نحو روبرت وبادره بالقول:

- اه، سيد بمبرتون. كنت اخبر جولى منذ لحظات ان ايما فى حاجة الى كمية من الدم. ولسوء الحظ الفصيلة التى تحتاج اليها ليست متوافرة عندنا فى الوقت الحاضر، وعلينا ان نطلبها من مستشفى اخر.

- وهل ارسلتم فى طلبها؟

- كنت على وشك ان افعل، لحظة أخبارتنا السيدة بمبرتون بان

فصيلة دمك هى ذاتها التى نحتاج اليها.

بدا روبرت كمن اخذ على حين غرة. ونظر جولى بنظرة خاطفة ثم التفت الى الطفلة. تعابيره الحائرة تكشف عما كان يدور فى ذهنه، محاولا استيعاب ما قاله له الطبيب.

- اتعنى انى استطيع اعطاء ما تحتاج اليه الطفلة من دم؟

- نعم، سيد بمبرتون. اذا كنت موافقا؟

- بالطبع انا موافق.

بدا نافذ الصبر وهو يفك ازرار معطفه ويرخى كم قميصه. ثم اردف قائلا:

- ارنى فقط ما الذى يجب على عمله.

احست جولى، تلك اللحظة، انه يكاد يغمى عليها. اذ لم تعد تستطيع ان تتحمل المزيد. ترنحت قليلا، وحاولت الامساك بذراع كرسى قربها كى تتفادى السقوط. ولما لاحظ الطبيب حال المرأة قال الى الممرضة ان تخرج السيدة بمبرتون من الغرفة الى حيث تستطيع ان تستريح لبضع دقائق، تستعيد خلالها انفاسها.

- لكنى اريد البقاء هنا.

- ليس ما تستطيعين عمله. تعالى معى. لا اظنك تريدين ان تكونى غائبة عن الوعى حين تفيق ايما من غيبوبتها.

عادت جولى الى غرفة الانتظار تجلس وحيدة. وخيل اليها ان ساعات عدة مرت وهى تنتظر. لكن لا يعقل ان يكون مضى عليها وقت

طويل وهى فى هذه الحال من الترقب. وما ان عادت الى وعيها كاملا حتى نهضت تذرع الغرفة جيئة وذهابا بخطى لا اتزان فيها، تتوق الى معرفة ما حدث اثناء غيابها، وتتساءل اذا كان روبرت انتهى من التبرع بكمية الدم المطلوبة. لابد انه فعل ذلك منذ بعض الوقت. لكن اين هو؟ وهل تمت عملية نقل الدم؟

فتحت جولى الباب والقت نظرة متفقدة على الصالون، فلم تجد احدا يمكن ان يطالعها بخبر، عدا بعض الخدم والممرضات الذين كان كل واحد منهم منكبا على عمله. اخيرا، جاءتها الممرضة بالخبر اليقين:

- تفضلى معى، سيدة بمبرتون فأبنتك صحت من غيبوبتها. هل ترغبين فى رؤيتها؟

خانت الكلمات جولى، فأشارت برأسها ايجابا. وتبعت الممرضة عبر الصالون. كانت الطفلة لاقى غرفة جانبية وقد بدلت ثيابها وغسل رأسها ثم قمط بضمادة بيضاء زادت فى ابيضاض بشرتها. لكنها، على رغم كل هذا، بدت افضل حالا. جثت جولى الى جانب سريرها، واخذت يد الطفلة تضغط بها على خدها ثم قربتها الى فمها ولثمتها. هتفت، لحظة فتحت الطفلة عينيها الرماديتين وارتسمت على ثغرها ابتسامة تعبة:

- اوه، ايما!

تكلمت الطفلة بصوت ضعيف:

- مرحبا يا امى... رأسى يؤلمنى.

- نعم يا حبيبتى، لقد سقطت سقطة قوية. لكنك ستشفين قريبا باذن الله. انت الآن فى المستشفى، والجميع هنا منتظر إشارتك.

اغمضت الطفلة عينيها ثم فتحتها ثانية.

- اعرف ما حصل لى. عمى روبرت اخبرنى كل شئ.

نظرت جولى حولها. كانت مستغرقة فى اقناع نفسها ان ايما ستتعافى، فلم تنتبه الى الآخرين معها فى الغرفة. وقع نظرها على الطبيب يراجع ملاحظاته، واقفا عند طرف السرير، والى جانبه الاخت المسؤولة عن القسم. لكنها لم ترا اثرا لروبرت.

بادرت الاخت تقول اذ لاحظت تساؤل جولى:

- الممرضة تحضر فنجان شاى للسيد روبرت، لقد خرج ليتسنى لك الاختلاء بايما على حد قوله.

- حسنا «وعادت تسأل ابنتها» فى ما مضى الجرح فى رأسك، كيف تشعرين يا حبيبتى؟

- انى بخير، سوى ان ذراعى تؤلمنى، فضلا عن جرح فى ساقى.

قالت الاخت معقبة وهى تقترب منها:

- انها رضوض سطحية. ليس هناك من اصابات بالغة. واذا ما تم الاعتناء بجرح رأسها كما يجب فانى لا ارى سببا لبقائها هنا اكثر من ايام قليلة.

خرجت جولى ثانية تبحث عن روبرت:

- اين ذهب السيد روبرت؟

اجابها الطبيب:

- اظن انه عاد الى غرفة الانتظار.

اسرعت فى اتجاه غرفة الانتظار. دفعت الباب ودخلت. كان روبرت جالسا فى احد المقاعد، وذراعاه تستريحان على ركبتيه، يطالع مجلة وجدها على طولة قريبة منه. رفع نظره مستطلعا، لحظة دخولى جولى.

- كيف عرفت ان فصيلة دمى هى من فصيلة دم ايما؟

- مايكل اخبرنى.

- بحق السماء يا جولى. كيف صادف ان فصيلة ايما هى ذاتها فصيلة دمى وليست من فصيلة دم مايكل؟ واحد منا فقط دمه من هذه الفصيلة النادرة.

- وكيف لى ان اعرف؟ هذه الأمور تحدث...

امسكها وادارها فى مواجهته مرغما اياها على النظر اليه:

- جولى، اريد معرفة الحقيقة. هل ايما ابنتى؟

٦ ـ إنها ابنتك

حدقت فيه جولى طويلا قبل ان تجيبه. كانت تتوقع هذه اللحظة منذ ان اطلعت الطبيب، عن غير قصد، على نوع فصيلة دم روبرت. ومع هذا لم تكن مستعدة لمواجهته. اخيرا، قالت له:

- لا يحق لك ابدا ان تسألنى هذا السؤال.

- ليس لى حق السؤال!؟«بدا ثائرا يتآكله الغيظ» بالطبع لى الحق. اذا كانت ايمى ابنتى، فمن حقى ان اعرف.

- كيف تسمح بان تدعى هذا، وانت الذى غادر الى فنزويلا من دون ان تلتفت الى؟

- هذا ليس صحيحا!«واشتدت اصابعه على كتفها» افكارى واحاسيسى كانت كلها معك! لكنك، فى المقابل تزوجت مايكل! لم تنتظرى عودتى. بل ارغمتنى على ان احتقرك! وعندما عدت من فنزويلا وادركت ما فعلته، تمنيت لك الموت. صدقينى!

ارتعشت جولى لوقع كلماته، الا انها حاولت ان تظل هادئة. لكن الأمر لم يكن سهلا عليها وقبضته تبعث الاضطراب والاثارة فى اعماق احساسها وعواطفها. وقالت تبعد عنها التهمة:

- لقد بعثت اليك برسالة. سألتك فيها ان تعود. قلت لك انى ارغب فى الحديث معك...

سارع يقاطعها بصوت يكتم فيه غيظه:

- من دون ان تفصحى عن اى سبب. قصاصة ورق صغيرة تطلبين فيها ان اعود الى انجلترا. كيف يمكن ان اجيب عن رسالة كهذه؟ وكيف يكون مطلوبا منى ان ادرك الغاية منها؟ خصوصا ان موقفك لم يتبدل حيالى. كان على ان اذهب الى غوابا، وان اعرف سبب الانفجار الذى وقع. فكيف بالله، تريدينى ان اترك كل شئ على ما هو واعود الى انجلترا، وانت فى المقابل ترمينني باتهامات شتى وترسلين الى انذارات قاطعة؟ «كان روبرت يتكلم وهو فى حال غليان، وجهه قبيح وصوته يشوبه التوتر». لن لن تدركى ابدا كيف كان شعورى تلك الليلة، يوم تركتنى وخرجت من منزل والدتى!

لم تستطع جولى، وقد احست من خلال عينيه المعبرتين بصدق احساسه، ان تطلق العنان لاحاسيسها، فقالت:

- كان هذا من زمن طويل.

- ليس بالنسبة الى. اتذكر هذه الأمور وكأنها حدثت البارحة. هل تظنين انى لم اوجه اللوم الى نفسى لما اقدمت عليه تلك الليلة؟

- كيف استطيع تصديق كلامك؟

اجابها وصوته اقرب الى الحشرجة:

- يا الهى...! انها الحقيقة جولى.

سألته ثانية وصوتها يكاد يختنق:

- كيف لى ان اعرف ما تدعيه ليس سوى وسيلة ذكاء لتدفعنى الى الاقرار بحقك فى ابوة ايما، بعدها يمكنك قانونا ان تأخذ ابنتى منى؟

- جولى! لقد عهد الى مايكل بسؤولية رعاية الطفلة وتنشئتها. بهذا وحده استطيع ان اوجه حياتها كيفما اشاء. لماذا فعل ذلك، فى رأيك؟

دفعته جولى عنها مبتعدة بنظرها. ومن دون ان تلتفت اليه قالت بصوت خافت:

- لست ادرى سببا لذلك.

تكلم بكلمات لم تفهمها قبل ان يقول:

- بالطبع تعلمين يا جولى. من تراه احق منى فى رعاية الطفلة؟ يا الهى، قوليها انطقى بالحقيقة!

استدارت اليه، وصرخت، والاضطراب يشحن نبرات صوتها:

- حسنا يا روبرت. ايما هى طفلتك. لكنك لن تستطيع اثبات هذا ابدا!

تنفس بعمق وقال اذ فوجئ باعترافها:

- اذن، انها الحقيقة، يا الهى لماذا على ان اثبت حقيقة واضحة؟

رفعت كتفيها استسلاما وقد اسقط فى يدها وقالت:

- لا تحاول ان تجرنى الى الاعيبك. فأنا لست طفلة، واعرف تماما ما يعنيه الأمر بالنسبة اليك. لقد كرهتنى قبلا، ولا يمكن ان يزداد كرهك حيالى اكثر من ذلك، ولا اتصور انك ترى فى الأم الصالحة لتربية طفلتك!، لهذا كله ستسعى الى...

اختنق صوتها فاستدارت مبتعدة تخبئ ملامح الذل فى قسماتها.

صباح اليوم التالى، حضرت السيدة هادسون لتعود ايما وقد احضرت معها بعض العاب التسلية. وكانت جولى تجلس على السرير قرب ابنتها بعد ليلة نالت فيها قسطا قليلا من النوم. واضفى حضور الخادمة ولطفها المتميز وقعا طيبا فى نفس جولى وايما على حد سواء. وبدت الطفلة فرحة مليئة حركاتها بالحيوية، وهى منشغلة فى تفحص بعض الدمى. وعلى رغم انها كانت لا تزال تحس وهنا جسديا، لكن شحوبها خف كثيرا وبدت فى حال افضل. بادرت السيدة هادسون بالقول تسأل جولى:

- ما الذى حدث لك أمس؟ تبدين فى أسوأ حال! عيناك غائرتان. كفى عن خوفك. فليس من سبب الآن فى الا تتعافى الطفلة قريبا!

تنهدت جولى:

- لم انم جيدا الليلة الماضية.

- لكن هذا ليس سببا كافيا؟ وهل تظنين انى غبية الى هذه الدرجة فلا ادرك ان امرا اخر يقلق بالك؟ وان حادث ايما ما هو سوى جزء بسيط من المشكلة؟ طوت قفازيها. واردفت «اما فى ما يتعلق بروبرت. فلا تسألى اى طبع سئ كان له لدى عودته الليلة الماضية. كان غاضبا الى درجة احسست معها بالشفقة حيال الآنسة لوسن.

عقدت جولى حاجبيها وسألت تستوضحها:

- الآنسة... لوسن؟

- نعم. الآنسة ساندرا لوسن، لقد غادرت المنزل هذا الصباح.

بدت الدهشة على جولى.

- ماذا فعلت؟ ... لماذا؟

لاسباب عدة، على ما اعتقد والسبب الظاهر، كون ايما ستذهب الى مدرسة القرية.

شهقت جولى وقد اخذها النبأ. ورفعت ايما عينيها والدهشة على وجهها، وهتفت بانفعال:

- هل حقا ما تقولين؟ هل هذا صحيح يا امى؟

هزت جولى رأسها باستسلام.

- اذ.... اذا قالت السيدة هادسون ذلك فهو صحيح لا لبس فيه «والتفتت الى الخادمة تسألها وهى تشعر بدوخة» لكن... لماذا؟ هل اخبرك الغاية من ذلك؟

اجابتها السيدة هادسون وقد بدت تتمتع بهذه اللحظات المهمة والسعيدة فى آن:

- هو بالطبع كلمنى. الا انى سمعت جدلهما فى الصالون. ثم اخبرتنى الآنسة لوسن خلاصة ما دار بينهما من حديث.

تنفست ايما بانشراح، وقالت معقبة:

- وانا سأذهب الى المدرسة؟

اجابتها جولى:

- يبدو الأمر كذلك «واضافت تسأل السيدة هادسون» هل اتى روبرت على ذكر السيد هيلينغدون؟

- لم يذكر شيئا من هذا القبيل يا سيدتى. وكما سبق وقلت، لم يكن فى حال مرضية لدى عودته الى المنزل. ولم تكن حاله افضل عندما شاهدته يغادر المنزل وينطلق بسيارته فى سرعة جنونية.

تنهدت جولى وعلقت قائلة:

- حسنا. لقد حققنا اخيرا مكسبا ما.

هزت الخادمة برأسها ايجابا:

- هذا ما اعتقده. لم اصدق انه ارتاح فى يوم من الايام الى تلك المرأة. فهى ليست من النوع الذى يصلح لتربية طفلة حساسة كأيما وتعليمها.

- اخذت ايما «تتطنط» على سريرها لشدة انفعالها وسرورها مما حدا بجولى ان تمسك بها وتهدئ من حركتها.

بعد ظهر ذلك اليوم جاءها زائر غير منتظر: لوسى بمبرتون التى ذهبت الى غرفة ايما كما لو كانت سليلة العائلة المالكة. هتفت حين رأت ايما والضمادة تزنر رأسها:

- اوه، يا مهجتى، ما الذى فعلوه بك؟

لم تكن ايما معتادة على مثل هذا النوع من ردات الفعل وكادت تدمع خوفا، فى الوقت الذى بادرت جولى قائلة:

- كان شيئا حسنا ان وجدت كمية كافية من الدم التى احتاجت اليها ايما. هل يمكن ان تتصورى ماذا كان يمكن ان يحدث لو لم تكن الكمية متوافرة هنا؟

- اى دم هذا يا امى؟

سألت ايما وفى عينيها قلق ظاهر.

- لا شئ يا حبيبتى.

وفيما جولى ترافقها فى البهو الى المدخل الرئيسى للمستشفى، عادت تقول:

- سوف ارتب الامر لنقل ايما الى مستشفى خاص، كنت نصحت بالذهاب اليه منذ سنوات، لمستواه الراى وخدمته الجيدة.

- ارجوك! لا اريد ان تنقل من هنا. فالمكان قريب من ثورب هيلم، وانى اتوقع عودتى الى المنزل هذه الليلة.

- اذن، سأبحث الأمر مع روبرت.

- كما تشائين، انى لا استطيع منعك.

- لا تستطيعين؟ لقد اخبرنى روبرت ايضا انه صرف الآنسة لوسن؟

- هذا ما اعتقده.

- هل تعرفين لماذا فعل ذلك؟

- لان ايما ستذهب الى مدرسة القرية.

- مدرسة عامة؟!

- نعم.

- اوه! لكن الأمور تعدت نطاق المعقول، ما الذى يعتقد روبرت انه فاعل بعمله هذا؟ طبعا، تلك هى مشيئتك.

- ايما فى حاجة الى الاختلاط باولاد آخرين. انك تدركين هذا الأمر بالطبع.

- انا عجوز غبية... والآن على الذهاب. هالبيرد فى انتظارى. هو الذى اتى بى فى السيارة. وداعا يا جولى.

فى وقت سابق من تلك الأمسية، استقلت جولى سيارة تاكسى عائدة الى المنزل.

فور عودتها، رحبت بها السيدة هادسون بحرارة، وساعدتها فى نزع معطفها وواكبتها الى غرفة الجلوس. كان الطقس فى الخارج رطبا شديد البرودة، بعكس الداخل حيث الدفء والنور. ورغم كل هذا احست جولى بالحزن يكتنفها. سألتها السيدة هادسون، وهى تراوح فى الغرفة:

- كيف حال الصغيرة؟

- انها نائمة الآن سأعود اليها غدا صباحا.

- تبدين تعبة يا سيدتى، لماذا لا تذهبين الى فراشك؟ سأحضر لك كوبا دافئا من الحليب.

- كلا، ليس الآن. اين... اين ذهبت الآنسة لوسن؟

- عادت الى لندن، على ما اعتقد. ويمكن ان تكون رجعت الى منزل الآنسة هيلينغدون قبل ذلك.

أشارت جولى برأسها تراجع الأمر واستراحت على كنبة قربها.

- اوه، نعم، باميلا.

- هل احضر لك شيئا منعشا؟

«سألتها الخادمة وبدت مصرة على ذلك». اذا استمريت على هذه الحال فى ارهاق نفسك، فستمرضين.

ارحت جولى رأسها الى ظهر الكنبة:

- انا بخير، شكرا، سيدة هادسون.

فجأة تناهى الى جولى، مع صفير الريح، صوت محرك سيارة تقترب ثم ضجيج فراملها وهى تتوقف امام باب المنزل. وفى رمشة عين كانت منتصبة على قدميها.

خاطبت الخادمة بصوت لا عزم فيه:

- انا لست هنا، كائنا من كان القادم. لا استطيع ان اقابل احدا الآن.

- حسنا يا سيدتى.

توجهت الخادمة تفتح الباب، لم تدم لحظة هنائها طويلا. اذ سمعت وقع اقدام تعبر الصالون، واخذ يجول بنظره حوله بصبر نافذ، الى ان وقع نظره عليها. أقفل الباب وراءه بحزم، وبدأ يفك ازرار معطفه. ابتعدت جولى عن الباب وعبرت لتقف فى الوسط قرب الموقد الكهربائية. وتمنت لو أن روبرت يقول شيئا، ولما لم يفعل بادرت تقول بتأن:

- اذا كنت اتيت لترى ايما، فهى ليست هنا.

- اعرف هذا ذهبت الى المستشفى، ظانا انك لا تزالين هناك، بغية اعادتك الى المنزل.

- حسنا، حسنا.

الا انها مضطربة وبدأت عصبيتها تتضح شيئا فشيئا.

فجأة سألها:

- الن تسألينى لماذا حضرت الى هنا؟

بدت كمن اسقط فى يده:

- حسنا... لماذا انت هنا؟

- لقد اتيت لأراك جولى.

- آه، فعلا؟ لماذا؟ لست ارى ما يمكن ان يقال بيننا اكثر مما قيل. اللهم الا اذا كنت فى صدد ابلاغى ان على الا افاجأ متى جاءت والدتك لتواجهنى بحقيقة معرفتها ان ايما هى طفلتك.

- جولى! «صرخ فيها وفى صوته الم عميق» كفى عن التكلم بهذا المنطق. فلن يعلم احد ابدا بانى والد ايما!

دققت فيه جولى:

- وكيف استطيع تصديق ذلك؟

هز روبرت رأسه بأسى، وقال:

- لا بد انك تظنيننى رجلا بلا مبدأ لتفكرى انى قد اكشف للجميع ان اخى فضل ان يكون ابا لابنتى! الى الآن، وكما يعلم الجميع، ايما هى ابنة مايكل وسيبقى الأمر كذلك. لا استطيع ان اقدم اقل من هذا الى رجل احببته واعجبت به.

احست جولى بحرارة الدمع فى عينيها:

- اذن، لماذا عليك ان تطلب معرفة الحقيقة؟ لماذا دفعتنى الى ان اخبرك؟

وقف روبرت امامها، يدقق فيها بثبات.

- لأننى انانى الى درجة اردت معها ان اتأكد من ان السبب الحقيقى الذى دفعك الى الزواج به لم يكن مرده انك وقعت فى حبه آنذاك.

ارتعشت جولى لكلامه هذا، وقالت مدافعة:

- كان مايكل لطيفا جدا معى وقد غمرنى بحنانه. ولست ادرى ما الذى كنت استطيع فعله من دونه.

صرخ فيها روبرت بصوت غليظ:

- لكن، كان يجب ان تخبرينى! انا هو الشخص الذى كان مفترضا فيك اللجوء اليه... وليس مايكل!

- كيف كان لى ان افعل ذلك؟ فانت كنت مسافر، فضلا عن انى بالطبع كنت استطيع الكتابة اليك، بعد الذى حدث وقيل بيننا، لأشرح لك بالتفصيل ان عليك ان تعود الى انجلترا وتتزوجنى لأنى حامل! كم... كان هذا ليبدو محببا وساحرا؟

نزلت نظرات روبرت باضطراب على قوامها الرشيق. وقال بصوت غليظ:

- يبدو انك لا تدركين الحقيقة، لو انك كتبت لى توضحين حقيقة وضعك لكان لكلماتك وقع طيب فى قلبى.

- كيف تستطيع ان تقول هذا بعد الطريقة التى اجبتنى بها عن رسالتى؟

- اعلم هذا، اعلم. لكنى كنت غاضبا انذاك، ارجوك، حاولى ان تفهمينى، كنت قد رفضت الانصات الى كل شئ قلته لك وعرضته عليك. رفضت ان تتزوجينى، يوم توسلت اليك ان توافقى. رفضت ان تفهمى وضعى بالنسبة الى مشروع غوابا. فكيف كان فى استطاعتى ان ادرك المعنى الحقيقى لرسالتك تلك؟ لقد مزقتها. لم اكن، يومها، أستطيع الرد عليها، الا انى غيرت عن رأيى وفعلت.

سألته جولى واظافرها تغرز فى راحتيها من حدة المعاناة:

- لماذا؟

هز رأسه لا يدرى جوابا:

- فى قرارة نفسى اظن انى فعلت ذلك لانى لم اكن مقتنعا ان كل شئ انتهى بيننا. حتى انى ارغب الى حد ما فى رؤيتك بعد عودتى من فنزويلا، فى محاولة إصلاح الذى فى علاقتنا.

سارعت جولى تقول:

- لكن رسالتك انذاك لم تكن توحى بمثل ما تقول.

- اعرف هذا، اعرف ان جوابى لك دفعك الى البحث عن وسيلة تؤمن لك عيشك وتربية الطفلة. لكن، هل كان عليك ان تتزوجى اخى مايكل لتؤمنى مستقبلك؟

شاورت جولى برأسها، وقالت:

- لم يكن قرارا سهلا، صدقنى. كنت وحيدة. وكان مايكل الانسان الوحيد الذى ابدى عطفا وتفهما... وقليلا من الحنان. لقد سألنى ان

اكتب اليك واخبرك الحقيقة. كان متأكدا انك لن تتهرب من مسؤوليتك. لكنى... لم أردك وفق هذه الشروط. «وابتعدت مسرعة الى الطرف الآخر من الغرفة، اذ لم تعد تستطيع احتمال وجوده قريبا منها من دون ان تفضحها احاسيسها».

وأضافت:

- صحيح انك والد ايما، لكن لا تنسى انك خطيب باميلا هيلينغدون. وبالتالى لا يحق لك ان تتودد الى بهذا الشكل.

- لايحق لى! «كانت انفاسه تتلاحق، واخذ يدقق بثبات فى عينيها المغرورقتين بالدموع. وقال بصوت متهدج ضمنه كل ما يعتمل فى قلبه» بل لى كل الحق فى ذلك، لانى احبك، جولى. ولم اتوقف يوما عن حبك، حتى حين كرهتك، صدقينى. وعندما علمت بزواجك ومايكل كرهتك وحقدت عليك. انت ايضا تحبيننى، فلا تحاولى ان تنكرى ذلك.

ارتعشت جولى لا تدرى ماذا تقول، ثم سألته:

- وماذا غير ذلك يمكن ان افكر فيه؟ وكما سبق لى وقلت، انت خطيب باميلا...

تكلم بوحشية:

- لتذهب باميلا الى الجحيم. انى لا احبها. ولم احبها أبدا لقد اخبرتها هذا صباح اليوم.

طرقت عينا جولى غير مصدقة:

- لقد اخبرتها؟

- بالطبع. او تعتقدين انى سأستطيع العيش مع امرأة اخرى سواك بعد ان عرفت انك لا تزالين تحبيننى؟

وأضاف بحنان:

- يجب ان تتزوجينى، جولى «وتنفس عميقا قبل ان يضيف» قولى لى انك ستفعلين، والا فليكن الله فى عونى... لست ادرى ما الذى سأفعله فى هذه الحال!

خلعت جولى عن ذاتها كل قناع وتحفظ، ورمت بماضيها وراء هذه الهنيهات الحالمة، وقالت:

- اوه، روبرت، انى اقبل الزواج بك متى تشاء. لكن، على اولا ان اعتذر، ذلك انى كنت مراهقة غبية منذ ستة اعوام. وما حدث اتحمل مسؤوليته بمقدار ما تتحمل انت ذلك. لابد ان تعرف هذا.

نظر اليها واجابها:

- بالطبع. فلن يدرى احد حقيقة الأمر سوانا نحن الاثنين.

فجأة، سألها روبرت:

- قولى الحقيقة. لو... لو انى لم استنتج الحقيقة فى موضوع ايما. هل كنت اخبرتنى بذلك من تلقائك فى يوم من الأيام؟

احنت جولى رأسها، وقالت:

- وهل تعتقد انى كنت احاول ان اكون حاجز بينك وبين باميلا؟

- لكن، كان يجب منذ نهاية الاسبوع المنصرم ان احساسى حيال

باميلا كان شيئا عارضا بالنسبة الى احساسى العميق نحوك.

- لكنك غضبت جدا يوم خرجت مع فرنسيس...

- بل كنت غيورا!

واضاف، متى ستتزوجيننى؟ قريبا؟ يجب ان يتم هذا فى القريب العاجل.

تراجعت جولى قليلا الى الوراء وهمست قائلة:

- اتعتقد ان السبب الذى حدا بمايكل ان يعهد اليك بتربية ايما اعتقاده بان هذا يمكن ان يحدث بيننا؟

- ربما، قد يكون هذا احتمالا فى محله. فهو كان يدرك انك لن تحاولى الاتصال بى لاسباب كثيرة، وكان عليه ان يتأكد من احدا سيرعى حياتكما من بعده.

- لكنه لم يكن فى استطاعته ان يعلم انك... انى...

- اتعتقدين ذلك؟ «وهز روبرت رأسه مشككا» لابد انه ادرك حقيقة إحساس كل منا حيال الآخر، يوم عاد الى انجلترا مع ايما وكانت لا تزال طفلة ترضع، يومها ادرك ان اهتمامى بك... او بحياتكما هناك، لم يكن امرا عاديا.

- كم انا سعيدة الحظ، روبرت.

خيمت لحظات من الصمت الدافئ المعبر، الى ان قال روبرت:

- على ان اذهب الآن. والا فلن اذهب من هنا ابدا.

دنت منه جولى ثانية، وقالت تقترح عليه:

- يمكنك ان تشغل الغرفة الاضافية وقد رحلت ساندرا لوسن.

الا انه هز رأسه نفيا.

- لا اظن ان هذا سيكون ممكنا الآن. جولى، انى احبك. لكن على ان اكون متعقلا، واستطيع الانتظار الى ان نتزوج شرعا.

سألته جولى وابتسامة حنونة قابعة على ثغرها:

- حسنا. متى اراك ثانية؟

تمتم قائلا:

- سأعود غدا ثم نذهب معا الى المستشفى لنخبر ايما. موافقة؟

- ليس لدى أدنى اعتراض.

- هل تعتقدين انها قد تمانع؟

هزت جولى رأسها نفيا:

- انها تحبك. وانت تعرف هذا. ويوما ما، حين تصبح فى سن راشدة، سنطلعها على الحقيقة.

واضافت بصوت حنون:

- واعتقد انها ستكون متفهمة، فهى فى اى حال، ابنتك.